

تَفْسِيرُ سُورَةِ  
التَّيْنِ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

٢٠١٦م - ١٤٣٧هـ

المركز الإسلامي للدراسات

لبنان - بيروت - الضاحية الجنوبية - أول حي ماضي

بناية حجازي - ط 1 - تليفاكس: 00961.1.274519

البريد الإلكتروني: alhadi@alhadi.org

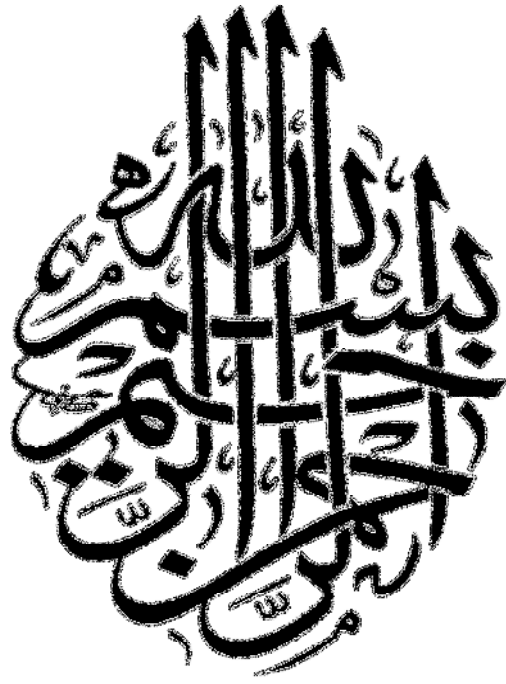


المنشورات: بيروت - بئر العبد - سنتر الانماء 3 - 00961 70995421

تفسير سورة  
التين

السيد جعفر مرتضى العاملي

المركز الإسلامي للدراسات والبحوث



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- (1) وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ
- (2) وَطُورِ سِينِينَ
- (3) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ
- (4) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ
- (5) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ
- (6) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ
- (7) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ
- (8). أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ

صدق الله العلي العظيم



## تقديم:

### بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

وبعد..

فإنني أقدم للقارئ الكريم تفسير سورة التين، الذي هو عبارة عن دروس ألقيت على مجموعة من الشباب وغيرهم من الأحبة والأصدقاء، ثم استخرجت من أشرطة التسجيل، وأعيد النظر فيها، أو نالها بعض التقليم والتطعيم..

فإن وجد القارئ الكريم فيها خطأ، أو قصوراً، أو تقصيراً، فأملنا هو أن يلفت نظرنا إلى ذلك، ونحن له من الشاكرين، وإن وجد فيها صواباً،

فبفضل الله تعالى ومنه، ومن كرمه وتسديده..

فما أحرانا بأن نخلص له بالدعاء والابتهاال بأن يوفقنا جميعاً لمثله..

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين..

**ضاحية بيروت الجنوبية (حارة حريك)**

**حرر بتاريخ 24/رجب/1437 هـ.ق.**

**الموافق 2/أيار/2016 م.ش.**

**جعفر مرتضى الحسيني العاملي**



الفصل الأول:

وَالتَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سَيْنِينَ..



## سورة التين مكية:

قيل: إن سورة التين مكية، واستدلوا على ذلك بأمرين:

الأمر الأول: إن هذه السورة تتحدث عن خلق الإنسان، ومسيرته في الحياة ومآله.. والهدف هو الإثبات أن البعث حق، ولا مجال لإنكاره..  
ومن المعلوم: أن أمر البعث والنشور أمر بالغ الحساسية، بالنسبة للمشركين والكافرين، لأن الإيمان بالبعث يحتم الإيمان بأهدافه.. إذ هو حقيقة وليس مجرد نزهة، ولا هو رؤيا منام، ولا أضغاث أحلام.. بل بعث فيه حساب، ثم الثواب والعقاب..

ويقال: إن الكلام عن البعث إنما يناسب أن تكون السورة مكية.

ويجاب:

أولاً: إن المعيار في مكية السورة ومدنيتها هو النقل بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى أن السورة إذا كانت تعالج أحداثاً نعلم بأنها حصلت في مكة، فالسورة تكون مكية.

ثانياً: هناك سور نزلت في المدينة، قد تحدثت عن الإنسان، وعن البعث والنشور، مثل سورة الرحمان، وسورة الرعد، وسورة الزلزلة، وهذا يدل

على أن مجرد التوافق في المضامين الذي اشتملت عليه سورة مكية مع مضامين سورة مدنية أخرى لا يعني لزوم اعتبار هذه السورة مكية، أو العكس.

ثالثاً: إن الكفر والشرك الذي كان له حضور في مكة، كان أيضاً له حضور في محيط المدينة، وكان مسير الدعوة يفرض طرح المضامين العقائدية في المدينة على النحو الذي كانت تطرح فيه في مكة.. وإن كان ذلك بنسبة أقل.

الأمر الثاني: استدلووا بقوله تعالى في سورة التين: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾<sup>(1)</sup>، لأن كلمة «هذا» يشار بها إلى القريب.

والبلد الأمين: هو مكة - كما سيأتي - فتدل هذه الإشارة على أن هذه السورة نزلت في مكة.

ويجاب:

بأن القرب له مفهوم واسع، وإطلاقه على الأشياء بلحاظات مختلفة، فقد يقال للحاضر في الذهن بصورة تكاد تكون متواصلة: إنه قريب، ويشار إليه بكلمة هذا.

وقد يقال لأمر ذكرته في خطابك لجليسك: إنه قريب، وتشير إليه بكلمة «هذا».

وقد يقال لأمر يعرفه الناس، أو يعتبرونه من مفاخرهم، أو من عاداتهم:

(1) الآية 3 من سورة التين.

إنه قريب، وتشير إليه بكلمة «هذا».

وقد يطلق القريب على بلد، أو مكان عرف وامتاز بأمر بعينه، أو حدث فيه أمر عظيم، كالزلازل، أو الخسف، أو الحريق الهائل، ثم تشير إليه بكلمة هذا البلد الفلاني قد أصابه زلزال مثلاً.. أو هذه إيران تصنع السجاد مثلاً.. ومكة حاضرة في ذهن كل إنسان حضوراً فعلياً في أكثر الأوقات، لما لها من قداسة، ولكونها قبلة المسلمين، فلا بد أن يستحضرها ويقصدوها في صلواتهم الواجبة كل يوم خمس مرات، فما بالك بصلواتهم المستحبة.. فتصح الإشارة إليها بكلمة «هذا» من أي متكلم كان.

ومن الواضح: أن الذي استعمل كلمة «هذا» هو الله سبحانه، وليس النبي «صلى الله عليه وآله»، وكل شيء حاضر لديه تعالى، وبين يديه، وليس ثمة ما هو بعيد عنه..

فالإشارة منه بكلمة «هذا» لا تدل على أن النبي «صلى الله عليه وآله» في مكة، لا من قريب ولا من بعيد..

ولو سلمنا أنها تدل على ذلك، لأنه تعالى يخاطب الناس من خلال الرسول الحاضر، فإننا نقول:

إن الإشارة الإلهية إلى مكة بما يدل على القرب، لا يعني القرب المكاني كما تقدم بيانه..

### وَالتِّينَ وَالتِّينُونَ:

تبدأ هذه السورة المباركة بالقسم بالتين، وبالزيتون ومعنى القسم هنا

هو جعل بقاء، أو عظمة أو قدسية ما تقسم به، وهو التين أو الزيتون، أو غيرهما مثلاً، مرهوناً بصحة وواقعية ما ورد في السورة من خلق الإنسان في أحسن تقويم، ثم رده أسفل سافلين إلا الذين آمنوا..

أو تجعل أمراً ما في دائرة الضمان الإلهية، بأن يكون تعالى هو المحاسب والمطالب والمعاقب على الإخلال لو حصل، فإذا أقسم أحد بالله على فعل شيء، فإن هذا القسم يعني أن الله تعالى هو الذي يتولى العقوبة على الإخلال بمضمون القسم.

والله تعالى لا يعجزه شيء، فهو قوي قدير، عالم، حي قيوم، حكيم، رازق وخالق، وهو الحافظ والشافى، فأن يقسم الإنسان بالله، فإنما يقسم بمالك الملك، الذي هو أعظم من كل عظيم، وأعلم من كل عليم، وأحكم من كل حكيم... و... و..

ولكن حين يقسم الله تعالى بمخلوقاته، فإنه تعالى يقسم بما هو بيده، وفي قبضته، ولا حول ولا قوة له إلا به..

إلا أن له أهمية كبيرة وجليلة بالنسبة إلينا فيما يرتبط بموقعه وتأثيره في المنظومة التكوينية العامة التي تتحكم بمسیر الحياة، وتحقيق الأهداف المتوخاة منها.

### أهداف القسم بالمخلوقات:

وليس الهدف من قسمه تعالى بالمخلوقات هو أن يثبت به صدقه - فيما يجبر به - فإننا نعلم: أن الله تعالى لا يقول إلا الحق.. وإنما لهذه الأقسام أهداف

أخرى.. مثل:

- 1- إيجاد القناعة لدى ضعفاء النفوس، وضعيفي الإيمان بحتمية تحقق ما يذكره تعالى لهم.
- 2- أن يكون الهدف أيضاً هو الدلالة على أهمية وعظمة الشيء المقسم به، وحساسية دوره.. لتأكيد عظمة الله تعالى في النفوس، من خلال عظمة مخلوقاته.
- 3- وقد يكون الهدف هو إرشاد الإنسان إلى عظيم نفعه لهم، ولزوم عدم الغفلة عنه، والحث على الاستفادة منه، والتحذير من أهماله..
- 4- وربما يكون الهدف هو فتح آفاق المعرفة أمام الناس، ودفعهم للتفكير في أسرار الخلق، المودعة بما يقسم به، والتأمل في دقائقه، والسعي لكشف حقائقه لما لها من أثر في صنع الحياة، ورسم معالم النجاح فيها.. الأمر الذي يحث الإنسان المؤمن على المزيد من التعلق بالله، والرغبة في التماس سبل نيل رضاه، والحصول على مواقع القرب والزلفى لديه..
- 5- أن يكون الهدف هو ترسيخ درجة اليقين لدى الناس، أو إعدادهم للمهمات الصعبة، والمواقف المصيرية.

**للتدليل على ما سبق:**

ويرشدنا إلى ما ذكرناه آنفاً قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ

## سُطِّحَتْ ﴿١﴾.

فإن الأمور التي يتعامل معها الإنسان عن قرب، بصورة متواصلة، ويعتاد عليها، لا يخطر على باله أن فيها أسراراً عليه أن يبحث عنها، ويستفيد منها الفكرة والعبرة. بل هو قد يغفل حتى عن الأشياء الظاهرة فيها. وإذا احتاج إليها، فإنما يخطر على باله هذا الموجود الكلي، الذي لو أراد أن يبحث عن خصوصياته، لوجد فيها إبهامات كثيرة.. لم تكن تعنيه، ولا تثير لديه أي شعور استفزازي يفرض عليه التدقيق والتأمل فيها، فضلاً عن أن تلزمه بالبحث والتقصي.

فحين يقسم الله بالإبل، وبالعاديات، والتين والزيتون، والشمس والقمر، والنهار، والضحى، والعصر، إنما يريد أن يستفز الإنسان للتأمل والبحث العميق. وليحدد موقعه منها، وحجم فهمه لها، وكمية معلوماته ومعارفه عنها، وعن هذا الكون الذي يتعامل معه.. الذي لو فهم اليسير من أسراره، وكشف القليل من حقائقه، فسيكون قادراً على تسخير بعض ما فيه، لجهة سلامة انطلاقة في الحياة، وسيره المتواصل في معارج ومدارج الكرامة والشهامة.

## وزيادة في التوضيح والبيان نقول:

لا نظن أن أحداً من الناس يشعر بأن للضحى وللعصر، وللنهار إذا

(1) الآيات 17 - 20 من سورة الغاشية.



تجلى، والليل إذا يغشى، والسماء وما بناها، والأرض وما طحاها، وغير ذلك، خصوصيات لها قيمة كبرى، وأهمية عظيمة تبرر القسم بها..

مع أن هذه الأمور هي أقرب الأشياء إليه، فهو يكدر ويغشى، ويتعب، ويذهب ويجيء معها وفيها، ويتعامل مع الناس، أو مع سائر المخلوقات في غمارها، ولكنه لا يشعر بأن للنهار أو للضحى أو العصر، أو الليل، أو غير ذلك مما ذكر أو لم يذكر دوراً حاسماً وعظيماً في حياته..

وشعوره المبهم بحاجته للنهار، حين يحل الليل، ليس له أي أثر عملي، في تلبية هذه الحاجة، ولا يدعو هذا الشعور إلى رصد خصوصيات النهار، أو الضحى أو العصر، واستكناه حقائقها، وكشف أسرارها.. فهذا الشعور الخاوي من أي أثر عملي لا قيمة له، لأنه ينطلق من أمور هامشية، ليس لها أي مضمون ذي بال.

وهكذا يقال بالنسبة للتين والزيتون، فإنه إذا أقسم الله تعالى بهما، ينتبه الناس إليه، ويرمقونه بأبصارهم، وتثور لديهم التساؤلات الكثيرة عن حقيقة ما في التين والزيتون من أسرار وفوائد وعوائد.. ولا سيما إذا وصفت شجرة الزيتون في آية أخرى بـ «المباركة».

### أنواع مما أقسم الله تعالى به:

هناك أمور أقسم الله تعالى بها لها دور أساس وحساس جداً في المنظومة الكونية، ولا تستقيم الحياة بدونها، ولو عرض لها أدنى تغيير في مسارها، أو في بعض أحوالها، فلربما يوجب ذلك اختلال الحياة كلها.

وذلك مثل: الشمس والقمر، والليل والنهار.. وغير ذلك.

وهناك أشياء أقسم بها الله سبحانه، بهدف الدلالة على أسرارها، ولزوم التفكير فيها واكتشافها.

وهناك ما هو من قبيل النعم الإلهية التي يحتاج الإنسان إلى إدراك أهميتها وقيمتها، ويعمل على شكرها، وينال بهذا الشكر المزيد من الرعاية الإلهية، والهبات الربانية..

وليكن من هذا القبيل القسم بالتين، والزيتون، وبالإبل، وغير ذلك..

وهناك ما يقسم الله تعالى به، ليدل الإنسان على بديع صنعه تعالى، وعلى علمه، وحكمته، وقدرته، بهدف تعميق الإيمان به تعالى في النفوس، ويكون هذا الإيمان الراسخ هو المرتكز لبناء شخصية الإنسان الكامل، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾<sup>(1)</sup>.

بل إن هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾<sup>(2)</sup>. تريد للإنسان أن يعي موقعه، ويتخذ قراره، لأنه هو الذي يتحمل مسؤولية هذا القرار، وليس له أن يلقي مسؤولية أعماله وقراراته على الآخرين، مثل أبويه، أو بيته، أو ما إلى ذلك..

### تراتبية في البركات والخصوصيات:

وإذا تأملنا في آيات سورة التين، فسنجد: أنها أشارت إلى أمور أربعة، هي:

(1) الآية 7 من سورة الشمس.

(2) الآيتان 7 و 8 من سورة الشمس.

التين، والزيتون، وطور سينين، والبلد الأمين.

ويلاحظ: أن الثلاثة الأخيرة من هذه الأمور لها بركات، وقداسات مشهودة، وخصوصيات في غيرها مفقودة.

فالتين شجر مثمر، لا نعرف الكثير عن فوائده وعوائده، ولكنه قُرِنَ بشجر الزيتون، وقدم عليه في الذكر.

ثم قرن هذا وذاك بأمرين، لهما مكانة معروفة، وقداسة موصوفة، وهما: طور سينين، والبلد الأمين.. أعزها الله.

ويلاحظ: أن هذه الأمور الأربعة قد ذكرها الله تعالى في هذه السورة مراعيًا فيها التراتبية، من الأدنى إلى الأعلى، فيما يرتبط بالخصوصيات، والمميزات، والحالات والبركات.

فلاحظ ما يلي:

**1 - بالنسبة للتين نقول:**

روي عن الإمام الرضا «عليه السلام»: «التين أشبهُ شيءٍ بنبات الجنة»<sup>(1)</sup>.  
وروي للتين فوائد كثيرة<sup>(1)</sup>.

(1) المحاسن (ط دار الكتب الإسلامية - طهران) ج 2 ص 554 وعن مكارم الاخلاق، والفردوس. وراجع: الكافي ج 6 ص 358 وبحار الأنوار ج 63 ص 185 و 186 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج 25 ص 170 و (الإسلامية) ج 17 ص 133 والفصول المهمة للحر العاملي ج 3 ص 112 و مرآة العقول ج 22 ص 199

وعن النبي «صلى الله عليه وآله»: «كلوا التين، فإن على كل ناحية منه: «بسم الله القوي»<sup>(2)</sup>.

2 - بالنسبة للزيتون نقول:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(3)</sup>.

وعن أبي الحسن «عليه السلام»: «كان مما أوصى به آدم إلى هبة الله «عليها السلام»: «أن كل الزيتون، فإنه من شجرة مباركة»<sup>(4)</sup>.

وعن النبي «صلى الله عليه وآله»: «كلوا الزيت، وأدهنوا به، فإنه من شجرة

(1) بحار الأنوار ج 63 ص 185 و 186 ومكارم الأخلاق ص 174

(2) بحار الأنوار ج 63 ص 187 عن الفردوس.

(3) الآية 35 من سورة النور.

(4) المحاسن ص 472 و (ط دار الكتب الإسلامية - طهران) ج 2 ص 484 وبحار

الأنوار ج 63 ص 182 والكافي ج 6 ص 331 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج 25

ص 96 و (الإسلامية) ج 17 ص 72 ومرآة العقول ج 22 ص 161.

مباركة<sup>(1)</sup>.

وعن الإمام الكاظم «عليه السلام»، عن أبيه، عن جده: كان فيما أوصى به رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام»: أن قال له: يا علي، كل الزيت، وادّهن به، فإنه من أكل الزيت لم يقربه الشيطان أربعين يوماً<sup>(2)</sup>.

وعن النبي «صلى الله عليه وآله»: الزيت دهن الأبرار، وآدام الأخيار، بورك فيه مقبلاً، وبورك فيه مدبراً، انغمس في القدس مرتين<sup>(3)</sup>.

وفي نص آخر عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: مسحت بالقدس مرتين، بورت مقبلة، وبورت مدبرة، لا يضر معها داء<sup>(4)</sup>.

- 
- (1) المحاسن ص 472 و (ط دار الكتب الإسلامية - طهران) ج 2 ص 484 وبحار الأنوار وج 59 ص 282 وج 63 ص 182 والكافي ج 6 ص 331 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج 25 ص 94 و (الإسلامية) ج 17 ص 71 ومستدرک الوسائل ج 16 ص 365 ومكارم الأخلاق للطبرسي ص 191.
- (2) المحاسن (ط دار الكتب الإسلامية - طهران) ج 2 ص 485 وعيون أخبار الرضا ج 2 ص 42 وبحار الأنوار ج 63 ص 179 و 183 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج 25 ص 96 و (الإسلامية) ج 17 ص 71 ومكارم الأخلاق للطبرسي ص 48 و 190.
- (3) المحاسن (ط دار الكتب الإسلامية - طهران) ج 2 ص 485 والكافي ج 6 ص 332 وبحار الأنوار ج 63 ص 183 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج 25 ص 95 و (الإسلامية) ج 17 ص 71 ومرآة العقول ج 22 ص 162.
- (4) المحاسن (ط دار الكتب الإسلامية - طهران) ج 2 ص 484 والكافي ج 6

وقد ذكرت الروايات المباركة للزيت والزيتون فوائد كثيرة، يمكن لمن أرادها أن يراجعها<sup>(1)</sup>.

**3-** بالنسبة لطور سينين، ويسمى أيضاً طور سيناء، فإنه هو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى، وهذا يجعل له قداسة خاصة عبّر الله عنها هنا، بأن أقسم به في سورة التين..

وإن كان المراد بطور سينين هو الكوفة، كما ورد في بعض الروايات<sup>(2)</sup>. فهذا يتلاءم مع ما روي عن علي «عليه السلام»، من أن أول الطور - طور سيناء - موضع دفن أمير المؤمنين «عليه السلام» بظهر الكوفة<sup>(3)</sup>. وعن الإمام الصادق «عليه السلام» عن الغري: «وهو قطعة من الجبل الذي كلم الله عليه موسى «عليه السلام» تكليماً، وقدس عليه عيسى تقديساً»<sup>(4)</sup>.

ص 331 وبحار الأنوار ج 63 ص 182 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج 25 ص 95 و (الإسلامية) ج 17 ص 71 ومراة العقول ج 22 ص 161.

(1) بحار الأنوار ج 63 ص 179 - 183.

(2) معاني الأخبار ص 264 وعنه البرهان للبحراني (مؤسسة البعثة سنة 1417 هـ). ج 5 ص 692 و 694 والخصال ج 1 ص 255.

(3) فرحة الغري ص 50.

(4) راجع: روضة المتقين ج 5 ص 366 والوافي ج 14 ص 1407 وكامل الزيارات ص 90 وتهذيب الأحكام ج 6 ص 23 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج 14 ص 385

وإذا كانت مقبرة وادي السلام هي موضع اجتماع أرواح المؤمنين، ولا يحاسب من يدفن فيها<sup>(1)</sup>. فإن ذلك يوضح لنا مدى عظمة هذه البقعة المباركة، ويشير إلى أهميتها البالغة لكل مؤمن ومؤمنة.

#### 4- وبالنسبة لقسمه تعالى بهذا البلد الأمين نلاحظ:

ألف: إن مكة هي أشرف بقاع الأرض، وأعظمها أهمية، وأعلىها مكانة. ولا نرى أننا بحاجة لإيراد النصوص الدالة على ذلك..

ب: إن الآيات في سورة التين قد ألمحت إلى خصوصية تفردت بها مكة، وهي قضية الأمن.. ففي دعاء إبراهيم «عليه السلام»: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾<sup>(2)</sup>.

وفي دعاء آخر: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾<sup>(3)</sup>. وقال تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾<sup>(1)</sup>.

و (الإسلامية) ج 10 ص 300 والغارات للثقفي ج 2 ص 853 والمزار للمفيد ص 21 والمزار لابن المشهدي ص 37 وبحار الأنوار ج 97 ص 232 و 258 ومستدرک سفينة البحار ج 9 ص 543 وإرشاد القلوب ج 2 ص 439.

(1) فرحة الغري ص 73 و 74 و (نشر مركز الغدير) ص 58 وتهذيب الأحكام ج 6 ص 38 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج 3 ص 161 و (الإسلامية) ج 2 ص 833 وج 3 ص 532 والمزار للمفيد ص 13.

(2) الآية 126 من سورة البقرة.

(3) الآية 35 من سورة إبراهيم.

وسنوضح قيمة هذه الخصوصية في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

### خصوصيات أخرى:

وثمة خصوصيات أخرى في مكة، تضاف إلى خصوصية الأمن، مثل:

1- جانب القداسة.

2- جانب الطهر.

3- مركزية ومحورية مكة في الدين الإسلامي.. كما يشير إليه اعتبارها

قبلة، بالإضافة إلى مركزيتها في مراسم الحج.

4- التكريم والتعظيم لهذا البلد..

وغير ذلك مما سنذكره في هذا الفصل تحت عنوان: «كل شيء من لا شيء».

### لا نريد البحث في الأقوال:

وهل المراد بالتين والزيتون شجرتهما، أو المراد ثمرتهما؟! هذا مما لا

يعنينا البحث فيه هنا.

وقيل أيضاً: طور اسم جبل. وسنين: سيناء، وسينة، اسم شجرة - كما

قيل - . وقيل: بمعنى سينين المكان الجميل، أو المكان ذي الأشجار الكثيرة.

وهذا كسابقه مما لا نريد البحث فيه أيضاً.

وما يهمننا من طور سينين (أو سيناء) هو عظمتها، وقداستها، وأهميته،

لاسيما مع علمنا بأن الغري هو قطعة من الجبل الذي ناجا فيه موسى «عليه

(1) الآية 67 من سورة العنكبوت.



السلام» ربه، وَقَدَّسَ عَلَيْهِ عِيسَى تَقْدِيساً، وَاتَّخَذَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَاتَّخَذَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ حَبِيبًا، وَجَعَلَهُ لِلنَّبِيِّينَ مَسْكَنًا<sup>(1)</sup>.

وفيه مدفن أمير المؤمنين «عليه السلام» - كما تقدم -، وفي الغري وادي السلام، وفيه أمور أخرى مهمة ذكرت في الروايات.  
والغري: هو أول طور سيناء، كما تقدم..

مما يعني: أن هذا الطور ممتد إلى مسافات شاسعة، تصل إلى مئات الأميال، إن لم نقل أزيد من ذلك.

وسنذكر في أوائل الفصل التالي بعض ما يرتبط بالقسم بطور سينين..

---

(1) فرحة الغري ص 74.

الفصل الثاني:

وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ..



## موقفان متغايران:

لعل سؤالاً يُطرح حول القسم بمكة، فيقول: كيف أقسم الله تعالى هنا بمكة، مع حلول النبي «صلى الله عليه وآله» فيها، بقريته قوله: ﴿وَهَذَا﴾. إذ لو كان «صلى الله عليه وآله» في المدينة لاستفاد من اسم الإشارة للبعيد.. مع أنه في سورة البلد يقول: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ \* وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾؟! (1).

فإن كان وجود النبي «صلى الله عليه وآله» في مكة يمنع من القسم بها، إجلالاً وإكراماً له، فلماذا لم يمنع من القسم بمكة في سورة التين إجلالاً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً؟!

### ويجاب:

أولاً: بأن ما تقدم في سورة البلد، يختلف في مراميه وأهدافه عما ترمي إليه سورة التين.. فإن سورة البلد تريد من القسم المتعدد التمهيد لدعوة الناس إلى الالتزام بالأحكام، وبالطاعة والانقياد لله ولرسوله.. وأن لا يظن أحد أنه قادر على الإفلات من العقاب، أو أنه يستطيع أن يخفي نفسه عن

---

(1) الآيتان 1 و 2 من سورة البلد.

هو أقرب إليه من حبل الوريد.. فالكلام موجه لمن يفترض إيمانه بالبعث والحساب، ويريد أن يتعد عن خط الطاعة والانقياد..

فالمناسب في مقام كهذا إظهار عظمة، وتأكيد جلالته، والجهر بكرامة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقد تجلى هذا الإجلال: بأن لا يقسم بمكة ورسول الله «صلى الله عليه وآله» فيها تعظيماً له، وتفخيماً، وتكريماً، وتعليماً للناس، وتعويداً لهم على احترام وتعظيم هذا النبي الكريم والعظيم.

أما في سورة التين، فقد كان المطلوب: هو تصحيح اعتقاد أولئك المنكرين للبعث والحساب، والثواب والعقاب.. وإيقاظ عقول المنكرين من سباتها، من خلال تذكيرهم بدائع صنعه تعالى، وعظيم نعمه، وجزيل بركاته، بالقسم بالتين أولاً، ثم بالزيتون..

ثم أقسم لهم بما لا ينكرون قداسته، ولا يجروون على الاستهانة به، فأقسم بطور سينين، ليدل على اتصال حاضر هذه الدعوة الإيمانية بهاضيها البعيد، ولكي يتمثلوا في ضمائرهم: أنها دعوة واحدة، تصل الماضي بالحاضر، ثم تصلها معاً بالمستقبل.

كما أن طور سينين له قداسة لدى الأمم المختلفة والمتعاقبة. ويشير إلى وحدة مساراتها، في مختلف مراحلها.

كما ويشير إلى اجتماع الأديان السماوية على هذا التقديس، من خلال كونه موضع تكليم الله لموسى، وموضع تقديس عيسى، وموضع اتخاذ إبراهيم خليلاً، ومحمد نبياً. فضلاً عن كونه مسكن الأنبياء، كما تقدم.

ثم يمتد هذا الاستيعاب، ليشمل المستقبل لهذا الدين، من خلال ما تمثله الإمامة الخاتمة، ويمتد إلى يوم القيامة، ليكون الغري وجوار علي «عليه السلام» هو موضع الأمان للمؤمنين إلى يوم القيامة..

ثم أقسم لهم أخيراً بمكة، التي هي الأقدس والأنفس لدى الناس، حتى المشركين منهم، الذين كانوا معنيين بالخطاب في هذه السورة، فإن مكة مصدر عزهم، وموضع أملهم، وغاية أمانهم. بل ليس لديهم من القداسات الحاضرة سواها..

وهذا هو القسم الأهم بالنسبة إليهم، والأبعد أثراً، ولم يكن المطلوب الإشارة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» هنا، بل المطلوب التذكير بالخالق بما له من صفات وتفضلات.

ثانياً: إن سورة البلد قد نزلت حين كان النبي «صلى الله عليه وآله» لا يزال في مكة، بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾<sup>(1)</sup>.

لكن لا دليل قاطعاً على نزول سورة التين في مكة، بل لعل قوله تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾<sup>(2)</sup>. إذا انضم إلى آيات سورة البلد ينتج: أن الأرجح: أن تكون سورة التين قد نزلت بالمدينة، فلا مانع من القسم بمكة في هذه الحالة، لاسيما وأن الله تعالى هو الذي استعمل كلمة «هذا» التي يشار بها إلى

(1) الآية 2 من سورة البلد.

(2) الآية 3 من سورة التين.

القريب، ولا يوجد قريب وبعيد بالنسبة إليه تعالى، بل الأمور كلها حاضرة لديه، والقرب والبعد إنما هو بالنسبة إلينا، لا بالنسبة إلى الله تعالى.

### مكة في النصوص:

لقد ورد في القرآن الكريم، وفي كلمات الأئمة المعصومين، وفي كلمات الآخرين، الكثير من النصوص التي تشير إلى أحوال مكة في عصر البعثة.. ونذكر من الآيات ما يلي:

قال الله تعالى على لسان إبراهيم «عليه السلام»: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيِّ بَوَادِ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ \* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾<sup>(2)</sup>.

وقال: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾<sup>(3)</sup>.

وقال تعالى على لسان إبراهيم «عليه السلام»: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا

(1) الآية 37 من سورة إبراهيم.

(2) الآيتان 96 و 97 من سورة آل عمران.

(3) الآية 26 من سورة الحج.

﴿أَمِنَّا وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (1).

وقال: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ (2).

وقال: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ (3).

وقال: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ تَتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُنَمِكنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (4).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (5).

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (6).

ونذكر من النصوص ما يلي:

1- روي عن علي «عليه السلام» أنه قال:

(1) الآية 126 من سورة البقرة.

(2) الآية 97 من سورة المائدة.

(3) الآية 3 من سورة التين.

(4) الآية 57 من سورة القصص.

(5) الآية 25 من سورة الحج.

(6) الآية 34 من سورة الأنفال.



أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا  
 الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي  
 جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا؟! ثُمَّ وَضَعَهُ:  
 بِأَوْعَرَ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا.  
 وَأَقْلَّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدْرًا.  
 وَأَضْيَقَ بَطُونِ الْأُودِيَةِ قُطْرًا.  
 بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ.  
 وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ.  
 وَعُيُونٍ وَشَلَّةٍ.  
 وَقُرَى مُنْقَطِعَةٍ.  
 لَا يَزُكُّو بِهَا خُفًّا وَلَا حَافِرًا وَلَا ظِلْفًا.  
 ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ وَوَلَدَهُ أَنْ يَتَنُوءُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ.  
 فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجِعِ أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ.  
 تَهْوِي إِلَيْهِ تِمَارُ الْأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ، وَمَهَاوِي فِجَاجِ عَمِيقَةٍ،  
 وَجَزَائِرِ بَحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهْزُوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلًّا، يَهْلُلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ الْخ... (1).

3- وعنه «عليه السلام»:

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) الخطبة القاصعة، رقم 187 و (ط دار الذخائر، رقم

التين..

بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدْ اسْتَهْوَتْهُمْ الْأَهْوَاءُ،  
وَاسْتَزَلَّتْهُمْ الْكِبْرِيَاءُ، وَاسْتَحَفَّتْهُمْ الْجَاهِلِيَّةُ الْجُهْلَاءُ، حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ،  
وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ الْخ..»<sup>(1)</sup>.

3- وعنه «عليه السلام»:

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا «صلى الله عليه وآله» نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ،  
وَأَنْتُمْ مَعْشَرُ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ حُشْنٍ،  
وَحَيَاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ  
أَرْحَامَكُمْ، الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ<sup>(2)</sup>.

وثمة آيات أخرى، ونصوص كثيرة تدخل في هذا السياق. ولكننا نكتفي

بها ذكرناه..

**إيضاحات:**

النتائق - جمع نتيقة -: المرتفعات.

المدر: التراب الملبّد.

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) الخطبة رقم 91 و (ط دار الذخائر، رقم 95) ج1  
ص186.

(2) نهج البلاغة (بشرح عبده) الخطبة رقم 25 و (ط دار الذخائر، رقم 26) ج1  
ص66.

- وشلة: أي يتحلب ماؤها على شكل قطرات غير متصلة.
- الخف: للبعير والنعامة بمنزلة الحافر للفرس وغيرها..
- الظلف: ظفر كل ما اجتر، وهو البقرة، والشاة، والظبي ونحوها..  
وهو كالحافر للفرس، والخف للبعير.
- الأعطاف - جمع عطف -: وهو الجانب من لدن الرأس إلى الورك.
- الإنجاج: طلب الكلاً في مواضعه، ومساقط الغيث.
- مفاوز - جمع مفازة -: وهب المنجاة (أي يطلب النجاة بالخروج منها)  
والفلاة التي لا ماء فيها. والمهلكة.
- بكة: هي مكة. سميت بككة لأنها تبك الناس، أي تجعلهم يزدحمون فيها.  
بوأه منزلاً: هياؤه، ومكن له فيه.
- العاكف: المقيم.
- الباد: المقيم بالبادية، مقابل الحضري.. والصحراء.
- الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء.
- منيخون: مقيمون.
- الجشب: الطعام الغليظ.
- معصوبة: مشدودة.
- دمثة: لا تصلح للنبات والرعي.
- قفار: الأراضي التي لا نبات فيها، ولا ماء.
- سحيق: بعيد.

التين..

المثاب: الموضع الذي يرجع إليه الناس بعد ذهابهم عنه.

### المطلوب من مكة:

عرفنا طرفاً من أحوال مكة، وما تعاني منه..

ولكن مراجعة النصوص الإسلامية تعطي: أن الإسلام يريد منها ما لا يتوقعه أي مطلع على هذا الواقع الصعب والمرير..

### أولاً: المعيشة في مكة:

فقد ظهر: أن المعيشة في مكة صعبة للغاية، ولكنه تعالى يريد لهذا البلد الفاقد لجميع مقومات الحياة، وما يمكن أن يفيد في التغلب على مشاكلها، وإزاحة عائلها.. أن يكون مصدراً للحياة، وصانعاً لها بأرقى مراتبها، وأسمى مكوناتها، المغمورة بالبهجة الطافحة بالسعادة.

إنه يريد لهذا البلد، الذي هو في أوعر بقاع الأرض حجراً، وهو أقل الأمكنة تراباً في جميع بقاع الدنيا التي ترتفع عن مستوى مياه البحار.. وإذا كان هذا البلد لا مياه فيه، حتى إن عيونه وشلته، لا تعطي إلا قطرة بعد قطرة، وهي أيضاً كدرة.. وإذا كانت أوديته ضيقة، وكانت جباله خشنة، ورماله دمثة لا تصلح للإنبات.. ولا يزكوا فيه خف ولا حافر ولا ظلف.. فإن الحياة فيه ستكون في منتهى الصعوبة. وسينفر الناس حتى من النزول فيه، فضلاً عن اختياره موضعاً للسكنى.

ولكن الله تعالى يريد من الناس أن يقصدوا هذا البلد، ويعودوا إليه مرة بعد أخرى، ويريد أن «تَهْوِي إِلَيْهِ تِهَارُ الْأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ،

وَمَهَاوِي فَجَاجٍ عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرٍ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهْزُوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلًّا، يَهْلُلُونَ  
لِلَّهِ حَوْلَهُ»<sup>(1)</sup>.

ويريد لهذا البلد الذي هو أقل نتائق الدنيا تراباً، ملبداً مستقراً (لا  
يستقر في مكان، بل تتداوله الرياح من موضع إلى موضع)، فهو لا يصلح  
للزراعة، وإذا كان لا مياه فيه، فلا يصلح للإنبات، بل هي أيضاً كدرة، لا  
تصلح للشرب، بل هي تنذر بالأوبئة الكاسحة، والأمراض القاتلة، والموت  
البطيء، والعيش الرديء، غير الهنيء.. ولكن الله تعالى يريد أن يرزق أهله  
من الثمرات، وأن تجبى إليه ثمرات كل شيء.

قال تعالى على لسان إبراهيم «عليه السلام»: ﴿إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي  
بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِنَ  
النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

ويقول تعالى: ﴿أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ  
رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾<sup>(3)</sup>.

وهو يريد لهذا البلد، الذي لا يجد فيه الإنسان أي نوع من أنواع الأنس  
والجمام والراحة، حتى إن أثر التراب لا يوجد فيه، إذ إن جباله خشنة، وحجارته  
وعرة، وأوديته ضيقة، ورماله دمثة، وليس فيه أنهار ولا ينابيع ولا أشجار

(1) نهج البلاغة الخطبة القاصعة الرقم 187.

(2) الآية 37 من سورة إبراهيم.

(3) الآية 57 من سورة القصص.

وارفة الظلال. يريد الله لهذا البلد أن يكون مصدر بهجة وأنس، وراحة للروح والنفس..

كما أن قري هذه البلد منقطعة، يشعر الإنسان معها بالغربة والوحدة، والوحشة، ولا يحس بالسكينة أو الطمأنينة، وهي لا تصلح لإقامة أي نوع من التشارك المفيد في إبعاد الشعور بالمعونة، والتعارف والتآلف.. فضلاً عن الحفظ، والنصر، والقوة، وما إلى ذلك..

إنه يريد أن يجعل هذا البلد الذي لا يرجو الناظر إليه أن يجد فيه نفعاً له - يريد أن يجعله ذا منافع يرغب بها الناس، وأن يأتيه من كل فج وعميق من أجلها - فقد قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحُجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ﴾ (1).

### ثانياً: العلم والثقافة:

إنه يريد لهذا البلد الفاقد العلم، والمعرفة، والثقافة بصورة مرعبة، مع أن أهل مكة هم رأس العرب، فما بالهم يقول عنهم علي «عليه السلام»، وعن سائر سكان المنطقة من حولهم:

إنهم كانوا حين بعثة النبي «صلى الله عليه وآله» في زلزالٍ من الأمر، وبلاءٍ

(1) الآية 27 و28 من سورة الحج.

مِنَ الْجُهْلِ؟!

ويقول: اسْتَحَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجُهْلَاءُ.

ويقول: بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ.

والله تعالى يريد منارة للعلم والهداية للبشرية جمعاء إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَهَدَىٰ لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ (1).

ويريد الله تعالى لسكان هذا البلد: أن تترقى معارفهم، وأن تصفو نواياهم، إلى الحد الذي يصبحون فيه من الشاكرين، ومن يرجى لهم أن يبلغوا أعلى المراتب الشريفة.

وبعد أن كان هذا البلد بؤرة للأضاليل، والشبهات والأباطيل، يريد أن يكون واضح الدلالات، وأن تكون فيه آيات بينات تهدي إلى أنبياء الله، وجهودهم، وجهادهم، قال تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ (2).

وإذا كان الله بعثه إلى هؤلاء الناس الذين كانوا على شر دين، وفي شر دار، وإذا كان عامة أهل مكة مشركين، ودعاة لعبادة الأصنام، فإنه تعالى يريد أن يجعل من بلده هذا منطلقاً للتوحيد الخالص، ومنارة للإيمان الصحيح بعد أن كان موثلاً للشرك، بما فيه من عفن، ومن عمى وضلال، ويريد أن يحوله إلى مجاهد في سبيل الله، بدلاً من أن يكون محارباً لأنبياء الله، ويقتل

(1) الآية 96 و97 من سورة آل عمران.

(2) الآية 97 من سورة آل عمران.

الأخيار، ويقطع الأرحام، ويقتحم العظام، ويرتكب الجرائم والمآثم!!

### ثالثاً: الأخلاق والقيم:

ويريد لهذا البلد الذي ليس فيه قيم، ولا أخلاق فاضلة. ولا ينتج سوى الشر والفساد في البلاد، والظلم والعدوان على العباد، وليس فيه كرم، ولا شمم، بل هو متمحض في الصد عن المثل والقيم.. بل إن من يعتبرهم الناس كبار القوم، وينقادون لهم، يتعاهدون فيما بينهم على التناصر في الظلم والعدوان، ويغمسون أيديهم في الدم تأكيداً لعهدهم هذا، على مثل هذه الخزيات حتى سمو لعقّة الدم.

ولكن كان هناك حلف آخر، قام به بنو هاشم، تحالفوا فيه على التناصر في الحق، وتعاهدوا على نصرّة المظلوم، وقد غمسوا أيديهم في الطيب، فسمي حلفهم بـ «حلف المطيبين».

يريد الله تعالى لهذا البلد: أن يكون المنطلق للقيم، والمثل العليا، كما يكون مركز لبث أصفى المعارف وأصحّها للعالم بأسره.

### رابعاً: الحالة الإجتماعية:

ويريد لهذا البلد الذي لا يأمن الضعيف فيه على نفسه، وماله، وحتى على عرضه المملوء بالخوف والرعب - يريد - أن يجعله حرماً آمناً إلى يوم القيامة، حتى إن أحداً لو ارتكب جريمة، ودخل إلى الحرم لم يقم عليه الحد، بل يُصَيَّق عليه في المأكل والمشرب حتى يخرج منه.

إنه تعالى يريد لهذا البلد الذي يرفض أكثر أهله الانقياد لله، ويأبون



الاعتراف بحاكميته - يريد - أن يجعل نفس الحضور فيه مدعاة للرجبة بعبادة الله، بل بأن تترقى هذه العبادة حتى تتجسد في كل جارحة، وعلى كل مظاهر وجود الإنسان العابد، حتى يصبح المصلي إنساناً إلهياً خالصاً من أية شائبة، ولذا قال إبراهيم «عليه السلام»: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾<sup>(1)</sup>.

ويريد لهذا البلد الذي ملأه أعداء الله تعالى برجسهم: أن يصبح المطهر من كل رجس، في مختلف بقاعه للطائفين، والقائمين، والركع السجود.

ويريد أن يكون بيت الله في مكة مباركاً، يعطي النماء والزيادة في ظل رضا الله سبحانه بعد أن كانت الأمور تزداد سوءاً في ظل النقص والحرمات الذي يتسبب به المفسدون من أهل الشرك والطغيان.

وبعد أن كان الناس يتفرقون عن هذا البلد، بالرغم من وجود الكعبة، البيت الحرام فيه، يريد الله له أن يكون مجمعاً للناس ليكونوا جميعاً في حضرته سواسية، كأسنان المشط، وعلى نسق واحد، وفي جو واحد، هو جو العبودية والطاعة له سبحانه، والطلب منه، والاستعانة به، والتوكل عليه. قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾<sup>(2)</sup>.

وبعد أن كانت الهيمنة والحاكمية في هذا البلد هي للطواغيت والجبارين، الذين يميزون أنفسهم على سائر الناس بغير وجه حق، يريد الله تعالى: أن يعيش الناس في هذا البلد معنى العدالة والمساواة، والأخوة ويريد أن يقضي

(1) الآية 37 من سورة إبراهيم.

(2) الآية 97 من سورة المائدة.

على الظلم فيه، مهما صغر في أعين الناس.. قال تعالى عن المسجد الحرام: ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقُهُ مِنْ عَذَابِ آلِيمٍ﴾<sup>(1)</sup>.

وبعد أن كان الناس في حيرة الضلالة، وهم في زلزال من الأمر، فإنه تعالى يريد لهم أن يكونوا على بصيرة من أمرهم، وعلى يقين من مصائرهم، وعلى ثقة بربهم.

وإذا كانوا حاطبين في فتنة، فإنه يريد لهم أن يعيشوا في واحة تعاون وتعاضد، وسكينة، وسلام، وفي حب ووثام وانسجام.

وإذا كانت الأهواء قد استهوتهم، وهيمنت عليهم الأخلاق الذميمة، وظهرت فيها أمراضها وأعراضها، حيث «اسْتَزَلَّتْهُمْ الْكِبْرِيَاءُ، وَاسْتَحَقَّتْهُمْ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ»، فإنه يريد أن يظهر نفوسهم، ويهذب أخلاقهم، ويصلح طبائعهم، ويستنهض فطرتهم، ويثير عقولهم، وينزع الأغشية عن أبصارهم، ويفتح أبواب أفهامهم.. ليعيشوا الحياة كما يريد الله تعالى لهم أن يعيشوها، ولينظروا إليها بنظرة إلهية، صافية، لا بنظرة شيطانية، تتحكم بها الأهواء.

وإذا كانوا أهل مكة على شر دين، فإنه تعالى بعث إليهم رسوله الأعظم، لينقلهم إلى خير الأديان، وهدى الرحمان.

وإذا كانوا يشربون الكدر، ويأكلون الجشب، فإنه يريد أن يجبي إلى بلدهم

(1) الآية 25 من سورة الحج.

ثمرات كل شيء.

وإذا كانت الأصنام فيه منصوبة، فإنه يريد أن يستبدل بكل ما يهدي إلى عبادة الواحد الأحد، والفرد الصمد.

وإذا كانت الآثام مشدودة بأهل هذا البلد، فإنه يريد أن يكون بلد تزكية النفوس، وبه تقبل التوبات، وتغفر الخطيئات.

وإذا كان هذا البلد مستباحاً من قبل المجرمين، والمفسدين، فإنه تعالى يريد به بلد آمناً حتى حين يتخطف الناس من حولهم.

### خلاصة وبيان:

ظهر مما تقدم: أن مكة في موقعها الجغرافي وفي إمكاناتها الطبيعية، مع خشونة جبالها، وضيق أوديتها، وقلة التراب الثابت والمتلبد فيها، وقلة أمطارها، ومع شح مياهها، وكدورتها، ومع كونها وادياً غير ذي زرع، ومع شيوع الظلم والفساد فيها، ومع التحلل الأخلاقي الهائل فيها، وضمور السمات الإنسانية، وفشل العلاقات الاجتماعية، وتحكم الطغاة والظلمة بأهلها، وبقرارهم، وبمسيرهم ومسارهم..

ومع هيمنة الجهل، وأحكام الجاهلية على الأحوال فيها.

ومع فقدان القيم..

ومع تمرد أهلها على الله سبحانه، واتخاذ سبيل الغي سبيلاً، ونبذ الهدى

والرشد فيها..

ومع مناوأتها الشديدة للحق وأهله، وللخير والسداد والصلاح..

مع كل هذه الأحوال، والأوضاع المريرة، التي لا تنذر إلا بالشر، كيف يمكن للناس أن تهفوا قلوبهم إليها، وأن يسعوا للسكنى والمكث فيها؟! وليس فيها إلا الموت، وإلا الأذى والبلايا، والحرمان؟! فكيف إذا كانت حياتهم ستكون بين حجارة خشن، وحيات صم، التي يقال: إنها أخبث أنواع الحيات؟!!

ولكن الله تعالى يريد أن يصنع من هذا البلد الفاقد لكل شيء، واجداً لكل شيء، ليكون نموذجاً فذاً وفريداً، ومثلاً رائداً، يجسد أهداف الإسلام، وإنجازته الهائل، في معجزة كبرى لكل من تفكر وتدبر، وتأمل وتبصر، ولتتجلى فيه آيات الله البينات، وخوارق العادات، في مجال بناء الحياة والإنسان.

وقد جاء القسم بهذا البلد، ليدل على هذه الحقيقة، ويشير إلى أن ذلك إنما يتم بعين الله، وفي رعايته، وهدايته، ليكون هذا البلد الفذ الرائع في طاقاته الإيمانية، والزاهر بالمعطيات الفضلى في إخلاص العبادة له تعالى، ورفض جميع أنواع الشرك والعبادة لغيره تعالى.

وأن يكون هو الأغنى والأعز في روافده العاطفية، المتميز في رخائه الاقتصادي.

ثم أن يكون بلد الرشاد والهداية، والمثل والقيم، والأخلاق الحميدة، والسير الرشيدة، والإنجازات الفريدة، والمفيدة، والمواقف المجيدة.

**إن أولياؤه إلا المتقون:**

ومن الواضح: أن تحقيق هذه الأهداف لا يأتي عن طريق التصرف التكويني

الإلهي القاهر، والقادر على أن يغيّر الأحوال، ويتصرف في النفوس والقلوب والعقول، ويقهر على التزام سلوكيات بعينها.. بل يريد الله أن يأتي بصورة طبيعية، ووفق السنن الإلهية، انطلاقاً من خلال ما يختاره الإنسان نفسه في المقامات المختلفة من دون جبر أو اكراه.

هذه الأهداف الإلهية، تحتاج في تحقيقها، وإيصال الأمة إليها إلى الرعاية الإلهية، والهداية الربانية.. وذلك لا يكون في مثل هذه المهام الكبيرة والخطيرة إلا على أيدي الأنبياء وأوصيائهم، ومن يرتضونه ويختارونه من الأولياء والصلحاء، حيث لا يختارون إلا الرجل المناسب للموقع المناسب..

وقد صرح القرآن الكريم: بأنه لا يحق للمنحرفين والضالين الذين يعادون أولياء الله، ويصدونهم عن المسجد الحرام - لا يحق لهم - تولى شؤون المسجد الحرام.. ولا ولاية لهم عليه..

بل الولاية على البيت منحصرة بالمتقين، لا تتجاوزهم إلى غيرهم، لأنهم الذين يسهمون في تمكين مكة من القيام بدورها الطبيعي والطليعي في نشر المعرفة الصحيحة، وبناء الشخصية الإنسانية بناء سليماً وقوياً.



الفصل الثالث:

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ





## لَقَدْ خَلَقْنَا:

1- بالنسبة لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>(1)</sup> نقول:  
اللام في قوله: ﴿لَقَدْ﴾ واقعة في جواب الأقسام الأربعة المتقدمة، فخلق  
الإنسان في أحسن تقويم هو الباعث على إنشاء هذه الأقسام، ويراد إثباته بها.

2- ويلاحظ: أنه في سورة التين أقسم بهذا البلد، ولكنه في سورة البلد  
لم يقسم به، فقد يقال: إن ما يريد اثباته في سورة البلد، هو أن الإنسان خلق  
في كبد ومشقة.. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾<sup>(2)</sup>. وهذا لا يصل في أهميته  
إلى حد خلق الإنسان في أحسن تقويم، الذي جعل مقدمة لإثبات البعث  
والحساب. وهو الأمر العقائدي المهم جداً..

لأجل ذلك نلاحظ: أنه أقسم في سورة التين بهذا البلد الأمين، وهو  
مكة، لأن ثمة حاجة لإثبات خلق الإنسان في أحسن تقويم مقدمة لما بعده.  
وشارف على القسم بهذا البلد في سورة البلد، لإظهار أهمية وعظمة  
رسول الله «صلى الله عليه وآله».

---

(1) الآية 4 من سورة التين.

(2) الآية 4 من سورة البلد.

التين..

وقد قلنا فيما سبق: إن عدم القسم بمكة في سورة البلد إنما هو لأن الحديث في السورة عن سلوك الإنسان في حياته الدنيا، وحثه على الإنقياد لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، والالتزام بما جاء به..

فالمطلوب: هو تعظيم الرسول «صلى الله عليه وآله» وإجلاله، وبيان حاله من قداسة ومقام عند الله.. ليكون ذلك داعياً إلى الانقياد والالتزام بأوامره.

3- بالنسبة لكلمة «قد» نقول:

إذا دخلت «قد» على الماضي، فهي حرف تحقيق. وإذا دخلت على الفعل المضارع، فهي حرف تقليل.

وقد يراد بها: إظهار التوقع لما لا يقين بحدوثه، كقولك: قد يقدم المسافر.

4- بالنسبة لقوله تعالى: ﴿خَلَقْنَا﴾ نقول:

نحتاج إلى الحديث عن هذا الخلق في عدة اتجاهات، فلاحظ ما يلي:

**ما المراد بالخلق؟!:**

لقد ذكر القرآن الكريم الخلق في العديد من الآيات..

ويفهم منها: أن للخلق العديد من المعاني:

أولاً: قد يراد بالخلق الابداع، والايخارج من العدم على غير مثال، قال

تعالى: ﴿خَلَقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(1)</sup>.

(1) الآية 164 من سورة البقرة.

وقال: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(1)</sup>.

والإبداع: هو خلق الشيء واختراعه على غير مثال.

ثانياً: الخلق: هو التصوير، وإعطاء الهيئة للمادة، قال تعالى: حكاية عن عيسى «عليه السلام»: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾<sup>(2)</sup>.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ﴾<sup>(3)</sup>.

فالتخليق هو التشكيل والتصوير، وقد أثبتت الدراسات: أن المضغعة لا تتشكل فيها بعض الأعضاء بصورة تامة، بل يتأخر بعضها ليتشكل في مرحلة لاحقة.

ثالثاً: يطلق الخلق أيضاً على النشآت التطويرية المتعاقبة، قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾<sup>(4)</sup>.  
وقال تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾<sup>(5)</sup>.

(1) الآية 117 من سورة البقرة والآية 101 من سورة الانعام.

(2) الآية 49 من سورة آل عمران.

(3) الآية 5 من سورة الحج.

(4) الآية 6 من سورة الزمر.

(5) الآية 7 من سورة السجدة.

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

فأطلق على هذه النشآت المختلفة في حالاتها وخصوصياتها: أنها خلق. وهو خلق تطويري، ونقل من مرحلة إلى مرحلة أرقى منها.

وهذه ليست معان متضادة، بل هي متكاملة ومنسجمة، لدلالاتها في كل مرحلة على معنى الإيجاد، الذي قد يكون من العدم، أو إيجاد الصورة للمادة، أو إيجاد حالات وخصوصيات لم تكن.

وقوله: بدأ خلق الإنسان من طين شاهد صدق على هذا التطوير في الخلق، والانتقال من مرحلة إلى أخرى.

كما أن آية مراحل خلق الإنسان من طين، ثم من نطفة، ثم من علقه، ثم من مضغة، تدل على ذلك أيضاً.

### خَلَقْنَا:

وقد قال تعالى: ﴿خَلَقْنَا﴾، ولم يقل: خلقت.

ولعل سبب ذلك: أنه تعالى يتحدث هنا من موقع الكرامة والعزة والعظمة، لأن المقام يفرض ذلك، لأنه يخاطب المشركين، الذين يعبدون أصناماً

(1) الآية 12 - 14 من سورة المؤمنون.

عاجزة، لا تبصر ولا تسمع، ولا تضر ولا تنفع، ولا تعقل، فلا غرو أن يتحدث الخالق البارئ المصور الحي القيوم الخ.. عن نفسه، بما هو خالق، من موقع الكبرياء والعظمة، والعزة والكرامة.

وأما ما قد يثيره أهل الزيغ من التعدد في الخالق، ليكون هذا الخالق قد أبدع المادة، وذاك أعطى الصور والاشكال، أو أن هذا تولى مرحلة من الخلق، وغيره تولى مرحلة أخرى، فهو كلام تافه وسخيف.

أولاً: لأن التوحيد ثابت بالإدلة العقلية القاطعة، ولا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه.. فلا قيمة لهذه الأراجيف، والأباطيل والترهات.

ثانياً: هناك آيات تصرح: بأن الله تعالى هو الخالق البارئ المصور، العزيز الجبار المتكبر، له الأسماء الحسنى، وتصرح: بأنه تعالى ينسب الخلق إلى نفسه بصيغة المفرد، وبأنه تعالى خالق كل شيء.

وهذا يدل على أن التعبير بـخَلَقْنَا، قد أريد به إظهار معنى العزة والعظمة كما قلنا.

### الإنسان:

أما المراد بالإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم، فهو هذا المخلوق البشري الذي خلقه الله من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة الخ.. وهو الذي نراه، والذي هو عاقل مختار، لديه غرائز، وميول، ومشاعر، وهو يخطئ ويصيب، ويهتدي ويضل، ويطيع ويعصي، وغير ذلك..

نعم.. هذا هو المقصود بالإنسان المخلوق في أحسن تقويم، بغض النظر

عما يختاره من سلوك، وما يصدر عنه من أفعال، وعن موقعه، وعن مقامه، سواء أكان نبياً، أو متمرداً شقيماً..

### في أحسن تقويم، كيف؟! ولماذا?!:

ثم إن ما ذكرته الآية، من أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم يحتاج إلى بيان.. فقد يقال: لو كان الإنسان الذي هو في أحسن تقويم كاملاً في كل شيء، فلماذا إذن يولد فاقد العقل والتمييز، ضعيف القوى، بالغ العجز لا يستطيع أن يتحرز حتى من نسيمات الهواء، ولا أن يدفع عن نفسه أضعف المخلوقات في الأرض، أو في السماء!؟

ولماذا إذن يولد بعض الناس مشوهاً، أو ناقصاً بعض الأعضاء، أو يكون قبيح الصورة، أو لديه قصور في بعض قدراته ومؤهلاته!؟

### ونجيب:

بأن هذا المخلوق من التراب البادي البشرية، يحتاج لكي يكون إنساناً إلى أن تتبلور فيه الصفات الإنسانية التي يتميز بها عن سائر المخلوقات.. ومن هذه الصفات: عقله، اختياره، عمله الصالح، جهاده، أخلاقه الفاضلة، علمه، طاعته لله، بالإضافة إلى أن المطلوب أن يكون رحيماً، صادقاً، عفيفاً، كريماً، حليماً، عطوفاً، تقياً، وفيماً، شجاعاً، محباً للخير وأهله. لا يحقد، ولا يحسد، ولا يجبن، ولا يبخل، ولا يجهل ولا.. ولا.. إلى آخر ما هنالك من صفات وسمات، لو حصل عليها بجده وكده، واستفاد منها بتوظيفها في حياته العملية لبلغ أعلى الدرجات، ونال أسمى المقامات..

وهذه الصفات بالذات، هي التي أتحفنا بها الأنبياء والأئمة، والأولياء، والأصفياء، والقادة الشهداء، وخيرة أهل الأرض من العلماء، والأتقياء.

وإن نظرة تأمل في سيرة الإنسان في الحياة.. تعطي ما يلي:

**1 -** إن الإنسان حين يولد تكون لديه استعدادات لنيل طاقات وقدرات، وصفات، وميزات، وكمالات مختلفة، يحصل على بعضها بصورة تدريجية، فمنها مثلاً: العقل، والتمييز، والمعارف، والعلوم، ويحتاج إلى تحصيل القدرة على النطق، واستعمال اللغات ليتفاعل مع محيطه بصورة سليمة وقوية.. ويحتاج إلى القوة البدنية بعد الضعف، وإلى الطاقة الجنسية، وإلى الشعور بالكرامة والشهامة، وإلى السخاء والوفاء، وإلى القدرة بدلاً عن العجز.. ويحتاج إلى المشاعر والأحاسيس، والانفعالات، فيحب ويبغض.

وهو يقبل ويرفض، ويرغب ويميل، ويُقبل ويُعرض، ويجوع ويعطش، ويتألم ويحزن، ويرضى ويبغض.. كما أنه قد يحسد ويحقد، ويشور ويهدأ، ويضحك ويبكي، وما إلى ذلك.

ويبدأ منذ ولادته بالحصول على هذه الأمور وسواها بصورة تدريجية.. وقد يستغرق حصوله على مطلوبه في بعضها إلى سنوات كثيرة، فقد روي مثلاً: أن الإنسان إنما يتم عقله إذا بلغ الثامنة والعشرين من عمره<sup>(1)</sup>.

---

(1) راجع: الكافي ج 6 ص 46 وج 7 ص 69 وتهذيب الأحكام ج 8 ص 111 وج 9 ص 183 وروضة المتقين ج 6 ص 372 وج 8 ص 652 وج 11 ص 66 والوافي ج 23 ص 1391 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج 19 ص 364 وج 21 ص 461

2 - قد يحتاج في حصوله على بعض هذه المزايا والخصوصيات إلى مساعدات من الأقرباء، وغيرهم في نطاق تربيتهم الصالحة له، فكما يدرّبونه على النطق مثلاً، كذلك هم ومعهم وبعدهم المعلمون، والأساتذة، والعلماء، ويغرسون في ضميره حب الخير، وفي قلبه رحمة الضعيف، والعطف على الفقير المحتاج، وينشئونه على الشهامة، والشعور بالكرامة، ويعودونه على العطاء والسخاء، ويحبّبونه بكل ما هو خير وصلاح، وفلاح، ويجعلونه يتعلّق ويلتزم بالمثل، والمبادئ والقيم.. ويكرّهون إليه الرذائل، ويجبّبون إليه الفضائل وإنصاف الناس، ويسهّلون عليه الاعتراف بالخطأ، والتراجع عنه، وما إلى ذلك..

كما ويعودونه على عبادة الله والإخلاص له، ويهيّئون له مناخات العبادة، والدعاء والتسبيح، واللجوء إليه تعالى..

3 - ومن هذه المزايا والكمالات ما يحتاج لبقائه إلى جهد دائم، وإلى المواظبة على بعض العبادات، والالتزامات الشرعية الأخلاقية، أو الاجتماعية والإنسانية، وسواها..

كما أن بقاء بعضها قد يحتاج إلى تجنب معاصيه، حتى لا توجب تلك المعاصي ضعف المناعة لديه، ثم تكون النتيجة هي تفتت وضمور وضعف

---

و (الإسلامية) ج 13 ص 431 وج 15 ص 183 و امرأة العقول ج 21 ص 81 وج 23 ص 110 و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 12 ص 73.



هذه السمات والصفات، والملكات.. ويفقد - من ثم - كمالات عزيزة عليه، وهي من أثمن ما لديه، وما هو بأشد الحاجة إليه، لكي يتنامى ويرتقي في مدارج الكرامة والزلفى عند الله..

نقول هذا، لأن الإنسان قد يحصل على بعض الصفات والسمات بعمله وجهده، وباختياره وكده، أو من خلال مساعدة الآخرين له.. ولكنه يفرط فيها، ولا يحافظ عليها، ولا يتعاهدها بالتقوية، والتغذية، فتضمحل وتضعف، وربما كان بعضها مما يكون داؤه النسيان، كالعلوم والمعارف، فإذا لم يهتم بتذكرها، ولم يحاول إثارتها والاستفادة منها، فيؤدي بها الخمول إلى الأفول، والعودة إلى الإرتواء في أحضان المجهول.

**4-** فإذا كانت الأمور والكمالات التي أراد الله لعباده أن يسعوا إليها، ويحصلوا عليها ليست حاصلة له بالفعل قبل حصول السعي والطلب..

فذلك يعني: أن المراد بخلق الإنسان في أحسن تقويم: ليس أنه أوصله إلى أقصى درجات الكمال من لحظة خلقه.. لاسيما مع ما نلاحظه، من أن آيات خلق الإنسان قد تضمنت معنى التكامل على مراحل، في القدرات الإدراكية، وفي قواه الجسدية، وفي المشاعر، وفي الاستعدادات والكمالات.. كما أن بعض ما يحصل عليه قابل للتضييع، والإتلاف، والتلاشي التدريجي.

**5-** فالمراد بـ ﴿أَحْسَنَ تَقْوِيمٍ﴾: أن هذا المخلوق الذي هو من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة.. والذي إن حصل على هذه الكمالات، والخصائص، والاستعدادات، ونال هذه الكمالات جسداً وروحاً وعقلاً، وغرائز ومشاعر.. فإنه يكون أقصى، وأحسن، وأبدع،

وأرقى الموجودات.. ويستطيع أن يعرج إلى السماوات، إلى سدرة المنتهى.. وتطوى له الأرض، ويمشي على الماء، ويمكنه أن يحصل على قدرات أخرى هائلة، كشفاء المرضى، بل وإحياء الموتى، فضلاً عن قدرته على اختراع الأعاجيب. وقد يصل إلى حد التصرف ببعض الكائنات، كما هو الحال في نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله» وسائر الأنبياء والأوصياء، ولا سيما أئمتنا الأطهار «صلوات الله عليهم» وسائر الأخيار والأبرار.

وحسب القول المنسوب إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»:

وتحسب أنك جرم صغير      وفيك انطوى العالم الأكبر<sup>(1)</sup>

وعن الإمام علي «عليه السلام» أنه قال: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»<sup>(2)</sup>.

نقول هذا.. لأن أصل الإنسان من التراب، ثم النطفة، ثم العلقة الخ.. وقد خلقه تعالى أطواراً.. قال سبحانه: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدْ

(1) منازل الآخرة للقمي ص 13 عن الديوان المنسوب للإمام علي (جمع وترتيب عبد العزيز الكرم) ص 57.

(2) غوالي اللآلي ج 4 ص 102 ح 149 والجواهر السنوية للحر العاملي ص 116 وبحار الأنوار ج 2 ص 32 وج 58 ص 99 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 20 ص 292 ومتشابه القرآن ومختلفه لابن شهر آشوب ج 1 ص 44 ومشارك أنوار اليقين ص 297 وعيون الحكم والمواعظ ص 430.

خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١﴾.

وقال: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (2).

وله هذه العناصر، والمكونات، في حين أن البيئة التي يعيش فيها زاخرة بالمغريات، وما يثير الغرائز والشهوات، حافلة بالعوائق والمثبطات، وكثرة المشكلات، فهو يخطئ ويصيب، ويعلم ويجهل، ويضل ويهتدي، ولا يؤدي ما عليه من واجبات.. من أجل ذلك كله تحدث الآية المباركة عن المطيعين من المؤمنين، وأن لهم أجراً غير ممنون، وعن الضالين العاصين، وأنهم يردون أسفل سافلين.

وسياتي المزيد من التوضيح لهذه الآيات المباركة أيضاً.

### الأحكام الإسلامية:

إننا إذا ألقينا نظرة على واقع النصوص المتضمنة للأوامر والزواجر، فسنجد:

1 - أن في الإسلام أحكاماً إلزامية، مثل: الواجب والحرام. وأحكاماً ليست إلزامية، مثل: المستحب، والمكروه والمباح.  
وما هو إلزامي يكون بحيث لو تركه المكلف، وكان واجباً، أو فعله وكان حراماً لوقع في المحذور الكبير..

(1) الآيتان 13 و 14 من سورة نوح.

(2) الآية 17 من سورة نوح.

فسبب الإيجاب والتحريم: هو صون المكلف عن الوقوع في هذا المأزق الصعب، والمخالفة الخطيرة، التي لها تبعات عقابية، لأنها تسبب غضب الله تعالى عليه.

وكثيراً ما يأتي هذا الإلزام في الموارد التي يندفع إليها الإنسان غريزياً، أو أهوائياً، أو شهوانياً، أو انفعالياً، كالغضب الشديد الذي يدعو إلى تجاوز الحدود، وركوب المخاطر، فإذا وجد الإنسان أن الامعان في المخاطرة قد يجعله مستحقاً للعقوبة الإلهية لكونه أصبح في دائرة الغضب الإلهي، فإنه سوف يتراجع ويتواضع ليبحث عن مخرج يجنبه هذا الغضب.

2- بالنسبة لما عدا الأحكام الإلزامية، كالمستحب والمكروه نقول:

إن كثيراً من موارد ناظر إلى نيل المثوبات على الفعل في المستحب، أو قلة المثوبة في المكروه.. بالإضافة إلى أن كثيراً من الأوامر غير الإلزامية لا يعدو كونه إرشاداً إلى منافع ذلك المأمور به في المستحب، والمضار في المكروه. ومن ذلك: الأوامر التي ترتبط بالأطعمة، والأشربة، والزراعة، والتعامل مع الآخرين، كالعائلة، والأقارب، وغيرهم. وكذلك ما يرتبط بأداب الحمام، والزي والتجمل، وغير ذلك كثير، وكثير جداً..

وقد تكون هذه الأوامر تهدف إلى صيانة الجسد، أو الخلق، أو الكرامة، من أن تتعرض لأي ضعف أو وهن.

أو أنها ترتبط بأحوال النفس، والتربية والمشاعر، وصيانة الكمالات،

وحفظ القدرات.

**3-** والمستحبات التي يطلب التعبد والانقياد، وطلب المثوبة، مثل: الصلاة، والصوم، والإستغفار، وقراءة القرآن.. فيراد بها: تربية الروح، والنفس، وفي بعضها يطلب إيقاظ الضمير، والوجدان، والسمو بهذا الإنسان إلى مواضع الرضا والقرب والزلفى عند الله.

فالأحكام الإلزامية تصون الإنسان من المزالق والمهالك، والمستحبات وسواها هي التي ترتقي بالإنسان، وتنقله من مقام إلى مقام.

**4-** قد ظهر مما تقدم: أن المناهي التي لا تصل إلى حد الإلزام.. قد تكون مما يطلب ثوابه، ولكن اقترانها بأمر بعينه يوجب قلة ثوابها، كالصلاة في الحمام، وفي أعطان الابل..

وبعضها، كتلك التي تطلب منافعها، مثل بعض المآكل، وسواها، فإن النهي عنها، إنما هو للإرشاد إلى بعض ما لها من سلبيات، محتملة الحدوث، أو قليلة الحدوث، ولا يبالي أكثر الناس به لقلته حدوثه، أو لأجل ضآلة ما يحدث منه.. وإن كان تراكمه، يفضي إلى ما لا تحمد عقباه أحياناً..

ومن ذلك على سبيل المثال: النهي عن الإكثار من أكل السمك، لأنه يوجب الفالج، وأمثال ذلك كثير.

**5-** والملاحظة المهمة التي نحب لفت النظر إليها: هو الكثرة الهائلة للمستحبات، وكثرة أنواعها، بحيث يتعذر إحصاؤها، ولا يمكن لأحد أن يأتي بها جميعاً.

وحتى لو أراد أن يأتي بها واحدة بعد الأخرى، فسيجد نفسه محرجاً

التين..

أمام النصوص التي تنص على أن بعض المستحبات لا حدَّ لاستحبابها..  
 كما في قول النبي «صلى الله عليه وآله» لأبي ذر، حين قال له: يا رسول  
 الله، إنك أمرتني بالصلاة، فما الصلاة؟!  
 قال «صلى الله عليه وآله»: «خير موضوع، فمن شاء أقل، ومن شاء  
 أكثر»<sup>(1)</sup>. فلو أراد أحد أن يصلي جميع ساعات عمره. مع إتيانه بسائر  
 التكاليف الإلزامية، لكان يفعل أمراً مستحباً طول عمره، مع أنه لم يأت  
 بمستحب آخر غير هذا المستحب.. فكيف نفسر ذلك؟!  
 وهكذا يقال بالنسبة للمستحبات المطلقة، كقراءة القرآن، والاستغفار،  
 وقضاء حاجات المؤمنين؟!

(1) الخصال للصدوق ص 523 ومعاني الأخبار ص 333 ووسائل الشيعة (آل البيت)  
 ج 5 ص 248 و (الإسلامية) ج 3 ص 518 ومستدرك الوسائل ج 3 ص 43 و  
 47 والأمل للطوسي ص 539 ومكارم الأخلاق للطبرسي ص 472 وبحار  
 الأنوار ج 74 ص 70 وج 79 ص 307 و 308 ومستدرك سفينة البحار ج 6  
 ص 319 ومسنند أحمد ج 5 ص 178 و 179 وج 5 ص 265 والمستدرك للحاكم  
 ج 2 ص 597 ومجمع الزوائد ج 1 ص 159 و 160 وج 8 ص 210 وكنز العمال  
 (ط مؤسسة الرسالة) ج 1 ص 485 وج 8 ص 13 وج 16 ص 131 وتاريخ مدينة  
 دمشق ج 23 ص 277 وج 59 ص 335 وج 67 ص 98 وسير أعلام النبلاء ج 2  
 ص 62 وإرشاد القلوب ج 1 ص 139.

**ونجيب:**

بأن الله سبحانه يريد أن يجعل من تنوع هذه المستحبات سبباً للتيسير، وإفساح المجال أمام المكلف لكي يتخير منها ما يتلاءم مع طبيعة عمله، ومع مسؤولياته في الحياة، ومع ميوله، وإقبال نفسه وإدبارها.. فلو أراد صاحب الحانوت مثلاً أن يصلي طيلة الوقت في حانوته لم يتمكن من كسب ما يعتاش به..

ولكن الله تعالى جعل أمامه خيارات أخرى تتناسب مع طبيعة عيشه، إذ يمكنه أن يبيع ويشترى، ويسبح الله.. أو أن يكون حين ممارسته للبيع والشراء صائماً مثلاً.

كما أن للنفس الإنسانية إقبالاً وإدباراً.. فلعلها - أحياناً - لا تتفاعل مع الصلاة المستحبة، فيختار لها قراءة القرآن مثلاً، أو أي طاعة أخرى تقبل عليها نفسه.. فالله تعالى لا يريد أن يربك الناس، ولا أن يفرض عليهم لوناً واحداً من الطاعة. وهذا من اليسر الذي أشير إليه بقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾<sup>(1)</sup>.. لأنه يريد لهم راغبين في العبادة، مشتاقين إلى الطاعة، متلذذين بها..

**خلاصات وتوضيحات:**

عرفنا فيما تقدم: أن الإنسان الذي يتحدث عنه الله تعالى في سورة التين هو هذا الموجود الذي نراه، الذي يعصي، ويطيع، ويفرح ويحزن، ويضحك

(1) الآية 185 من سورة البقرة.

التين..

وبيكي، ولديه عقل واختيار، وشهوات، وغرائز، ومحب، ويبغض، ويحسد ويحقد، ويسخو ويبخل، ويمشي على رجلين، وينظر بعينين، ويسمع بأذنين، ويأكل ويشرب، ويرضى ويغضب إلى آخر ما هنالك من صفات وحالات، وغرائز، وملكات.. وقد أطلقه في هذه الحياة ليستفيد من هذه العطايا الإلهية في نيل المقامات السامية، والمراتب العالية.

ولكن هذا الإنسان قد اختلفت حالاته، فكان منه المطيع، الساعي إلى رضا الله، الثابت القدم في إيمانه وفي التزاماته، ومنه العاصي المتمرد، وفريق آخر خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

والذين ساروا في خط الطاعة قد استطاع فريق منهم أن يكونوا أنبياء، اتّمنهم الله على شرايعه، وحملهم مسؤولية هداية البشر، وتربيتهم، وقيادتهم إلى الأهداف الكبرى السامية التي رسمها تعالى لهم.. وبالرغم من أنه تعالى خلقهم من تراب من نطفة، ثم من علقة الخ..

فإنه أراد لهم أن يواصلوا طي المراحل ليلبغ بعضهم سدرة المنتهى.. وقليل ما هم.

### الإنسان والأهداف:

وإنما يكون هدف الإنسان هذه المقامات، لأن الهدف من خلقته من تراب ثم من نطفة الخ.. هو أن يواصل رُقيه حتى يبلغ هذه الدرجات أو يكاد.. وذلك لأن الهدف من الخلق له تأثيره الكبير في تحديد سمات، وصفات، وحالات، وطاقات المخلوق الذي يفترض فيه أن يصل إلى تلك الأهداف.



فالهدف من خلق الحجر، أو النوع الفلاني من الشجر، أو الحيوان هو الذي يفرض أن تكون مكونات الحجر، أو الشجر، أو الحيوان هي كذا أو كذا، بنسب قد تتوافق وقد تختلف، فإذا وجد هذا المخلوق الذي هو الحجر، متوافقاً مع أهداف خلقه كان في أحسن تقويم.

وحين خلق الله تعالى الإنسان بما له من خصوصيات وحالات جسدية، ككونه يمشي على رجلين وله عينان، وأذنان، ويحتاج إلى الطعام والشراب، ويمرض، ويصح، ولديه قوى مختلفة.. وله جوارح ومكونات ظاهرة وباطنة مختلفة، وغير ذلك مما يقتضيه الهدف الأقصى.. فإنه يكون في أحسن تقويم من الناحية الجسدية..

وإذا اقتضى الهدف تجهيز هذا المخلوق بملكات وغرائز، وعقل، واختيار، وحالات نفسية، وأحاسيس، وعواطف ومشاعر.. وغير ذلك مما يحتاج إليه ليسهم في وصوله إلى ذلك الهدف الكبير، فإنه يكون في أحسن تقويم من هذه الناحية أيضاً..

ولكنه إن لم يحسن الاستفادة من كل هذه العطايا، وأخلد إلى الأرض، ولم يستطيع أن يرتقي إلى ما هو أسمى، وأبقى، وأطهر وأنقى، فإنه هو الذي يتحمل وزر هذا الإهمال.

وتعطيل العقل عن العمل، والمشاعر عن التأثير، والغرائز التي يراد لها أن تقوم بدور فاعل وإيجابي في حياة البشر، أمر مشاهد ومحسوس لدى الكثير من الناس.. وهو لا يختلف عن تعطيل اليدين، أو العينين، أو الأذنين عن العمل.. ولكن الخسائر الناجمة عن تعطيل العقل، والمشاعر، وسواها تكون

أكبر، وأخطر.

والأضر والأشر من التعطيل: استبدال الشيء بوضده.. فيستبدل الشجاعة بالجبن، والرحمة بالقسوة، والكرم بالبخل، والوفاء بالخيانة، والعلم بالجهل، والهدى بالضلال، وغير ذلك مما أراد الله تعالى له أن يكون عنصراً فاعلاً في الوصول إلى الأهداف الكبرى، فيصبح هذا الاستبدال عائقاً، بل دافعاً للسير في الاتجاه المعاكس.

وبدلاً من أن تقوى وتنمو قابليات الرقي لديه، فإنه يكون هو السبب في دمارها وبوارها، وهو يفعل ذلك عن سابق علم وإصرار، وسوء اختيار. فظهر بذلك: أنه ليس المراد بحسن التقويم: هو التناسق الجسدي، وجمال الصورة وحسب..

### خَلَقْنَا لَا خَلْقَتْ:

وقد قال تعالى: ﴿خَلَقْنَا﴾. ولم يقل خلقت الإنسان. ولم يقل: نخلق أيضاً. ونحن نعلم: أن كلمة ﴿خَلَقْنَا﴾ فعل ماضٍ، وأنه تعالى لا يقصد أنه خلق جميع البشر في السابق.

وإنما يريد أن يقول: إن هذا المخلوق من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقته، والذي يتواصل ويتكرر الخلق لأفراده، قد خلقناه في أحسن تقويم، لكي يصل إلى أسمى الأهداف.

فالمقصود بـ ﴿خَلَقْنَا﴾ مجرد بيان حقيقة خلقه، وما هي عليه من التقويم الأحسن الذي سوف يبقى مستمراً، ويكون هو المسؤول عن تضييع هذه

القدرات، حين لا يستفيد منها فيما يرضي الله، فلا دلالة لكلمة خلقنا على حصول ذلك في زمن مضى، وانقضى.

## الفصل الرابع:

ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ  
بَاطِنٌ لَّهُمْ وَخَافُونَ



## ثُمَّ رَدَدْنَاهُ:

- 1- ثم: حرف عطف، تفيد التراخي.. أي أن ما بعدها لا يقارن ما قبلها في الوقوع، ولا يأتي بعده بلا فصل، بل يكون بينهما فاصل زمني واسع. والعطف بالفاء يفيد التعاقب بلا فصل.. أما العطف بالواو، يفيد وقوع ما قبلها وما بعدها، من دون دلالة على الاقتران. ولا على التعاقب بلا فصل، أو مع فصل، بل قد يكون الثاني سابقاً على الأول زماناً.
- 2- بعد ما تقدم نقول:

المراد بالتراخي الزمني في هذه الآية المباركة: أن الزمن المتماهي قد كشف حقيقة هذا الإنسان، وأنه لم يرد أن يوظف هذا التقويم الأحسن في الوصول إلى الأهداف الإلهية التي يريد الله له أن يناهها به من خلال تحريك هذه القدرات، والوسائل. بل هو قد عطلها، وأساء إليها.

## رَدَدْنَاهُ:

- قالوا: المراد بالرد: الإرجاع إلى ما كان قد تجاوزه سابقاً ليكون قوله:
- ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ منصوباً بنزع الخافض أي إلى أسفل سافلين.
- غير أننا نقول:

إن كلمة ﴿رَدَدْنَاهُ﴾ تتعدى إلى مفعولين، وإن لم يذكرها في عداد الأفعال التي لها هذه الخصوصية، وهي - كما في ألفية ابن مالك - الكلمات المذكورة في الأبيات التالية:

انصب بفعل القلب جزءي ابتدا      أعني: رأى، خال، علمت، وجدا  
ظن، حسبت، وزعمت، مع عد      حجا، درى، وجعل اللذ كاعتقد  
وهب، تعلم، والتي كصيرا      أيضا بها انصب مبتدأ وخبرا  
إلا إن قلنا: إن كلمة رد من الأفعال التي هي مثل صير، وهي من أفعال التحويل.

ويشير إلى ما ذكرناه: أن الإنسان لم يكن في السابق في الأسفل لكي يرجعه الله إلى هذا الموضع، بل كان في أحسن تقويم..

غير أنه لما لم يعمل بما يريد الله جعله تعالى هو الأسفل، فيكون معنى رده: أنه جعله كذلك، وصير.. لأن في هذه المخلوقات ما هو متسافل إلى أحط الدرجات والدركات، ويكون هذا الإنسان الذي رفض الإيمان والعمل الصالح يكون أحط، وأسفل من كل سافل.. وهذا غاية الخسران، وأعظم الخذلان..

ومما يشهد لاستعمال كلمة رد بمعنى جعل، أو صير:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ

التين..

إِيْمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴿١﴾.

فالمفعول الأول هنا كلمة «كُم» في قوله: ﴿يُرُدُّونَكُمْ﴾، والمفعول الثاني هو قوله «كُفَّارًا» أي يجعلونكم كذلك.

ثانياً: قال الشاعر:

رمى الحدثان نسوة آل حرب      بمقدار سمدن له سموداً  
فرد شعورهن السود بيضاً      ورد وجوههن البيض سوداً

فإن كلمة رد هنا بمعنى جعل، أو صيّر.. لا بمعنى أرجع وأعاد، لأن شعور نسوة آل حرب لم تكن بيضاً، ليردها إلى البيض، كما أن الوجوه لم تكن سوداً، ليردها إلى السواد.. وإنما الحدثان، ومصائب الزمان، قد فعل بنسوة آل حرب هذا وذاك..

**الأسفل مفهوم إضافي:**

والأسفل، والسافل من المفاهيم الإضافية التي يحتاج تعقل أحدهما إلى الآخر.. فهو كالفوق، فإنه لا يتعقل إلا بتعقل التحت.. وكذلك الحال بالنسبة للسافل والعالي، والأسفل والأعلى، والأكبر والأصغر، والقريب والبعيد، والطويل والقصير، وغير ذلك..

كما أن الأسفل والسافل، والأقرب والقريب، والعالي والأعلى، وغير

(1) الآية 109 من سورة البقرة.



ذلك يعتبر من المفاهيم ذات المراتب، حين تضاف إلى أمر ثالث، أو شخص آخر.

فقوله تعالى: ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ يشير إلى وجود عال وأعلى، وسافل وأسفل.

فيأتي هنا سؤال يقول: لماذا جعل الله الذين لم يؤمنوا أسفل سافلين، ولم يجعلهم من جملة السافلين؟!  
ونجيب:

بأن الله تعالى حين يقول: إنه خلق الإنسان في أحسن تقويم، حيث زوده بكل المؤهلات التي تمكنه من بلوغ أقصى الغايات.. وقد حدث هذا بالفعل، فبلغ نبينا إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، ويتلوه علي «عليه السلام»، وإبراهيم وأولو العزم من الرسل، ثم سائر الأنبياء «صلوات الله عليهم»، بحسب درجاتهم عند الله تعالى..

بالإضافة إلى الأئمة والأوصياء، والأخيار، والعلماء الأتقياء، وسائر المراتب.. بحسب درجات استفادتهم من المنح الإلهية المودعة في تقويمهم الأحسن، والأمثل، على شكل ملكات، وعواطف وغرائز، ومشاعر، وعقل، وجمال صورة، واعتدال مزاج، وتناسق وتوافق، وعلوم ومعارف، وهدايات إلهية، وغير ذلك مما يمكن أن يكون وسيلة لاكتساب المثوبات، والحصول على المزيد من العطايا والهبات، وترشيد الطاقات..

ولكن هذا الإنسان إذا أخلد إلى الأرض، واتبع الهوى، وتمرد على الله الذي منحه كل هذا العطاء، جعله في أحسن تقويم، وقطع الصلة بينه وبين

الله، باختياره طريق الكفر والإنكار، ولم يعد للخير، ولا للكمال، ولا لرضا الله، ولا لصلاح العباد والبلاد، ولا قيمة عنده للرشاد والسداد.. فإنه يكون قد رضي بأن يصبح فاقداً لكل النعم، صفر اليدين من كل خير.

أما إذا مال إلى الدنيا بسبب طغيان شهوة، أو تمرد غريزة، أو بسبب ملالة أو كسل، وميل إلى الراحة، أو متابعة هوى، فارتكب بعض ما لا يجوز ارتكابه، كاغتياب مؤمن، أو ترك واجب، كما لو نام عن صلاة الصبح، أو سَوَّف في قضاء صومه، أو أداء واجباته المالية، أو ما إلى ذلك.. ولكنه لم يزل يتشوق للتوبة، وما فتى محباً للخير، ملتزماً بكثير مما أوجبه الله تعالى عليه، كبرِّ الوالدين، والرفق بالضعفاء، والسعي في قضاء الحاجات، وغير ذلك.. فإنه، وإن لم ينل الدرجات العلى، ولكنه لا يكون في خسارته، وشقوته كالمتمرد على الله، والمنكر لإلوهيته، ومن لا يقيم وزناً لكل ما يأتيه من قبله تعالى..

بل هذا العاصي يكون قابلاً للإصلاح، وترجى له التوبة التي يكون بها النجاح والصلاح، وربما يستثمر الكثير من العطايا الإلهية للحصول على بعض الصلاح.

فعلم: أن للتسافل مراتب، كما أن للعلو مراتب، ودرجات متفاوتة بحسب أعمال العباد، ودرجات إيمانهم..

وقد روي عن أبي عبد الله «عليه السلام»: أن الإيمان عشر درجات،

فالمقداد في الثامنة، وأبو ذر في التاسعة، وسلمان في العاشرة<sup>(1)</sup>.  
ويدل على أن للإيمان مراتب أيضاً قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾<sup>(2)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾<sup>(3)</sup>.. لأن كفرهم اقترن بالسعي لإشاعة الشكوك والأباطيل، لصد الناس عن الحق.

### مقارنة لا بد منها:

وإذا قارنا بين الآيات في سورة التين، وبين قوله تعالى في سورة العصر:  
﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾<sup>(4)</sup>.

فنحتاج إلى الجواب على السؤال التالي:

أولاً: إنه تعالى ذكر في سورة العصر: أن الإنسان الذي هو على درجة من الكمال هو في خسر تدريجي، ونقصان متتابع. كما يفهم من قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

(1) روضة الواعظين ص 280 والخصال للصدوق ص 448 وبحار الأنوار ج 22 ص 341 وج 99 ص 291 ومستدرك سفينة البحار ج 1 ص 209

(2) الآية 4 من سورة الأنفال.

(3) الآية 151 من سورة النساء.

(4) الآيتان 2 و3 من سورة العصر.

فلماذا كان الخسر تدريجياً في سورة العصر.. والرد إلى أسفل سافلين كان دفعة واحدة في سورة التين، وإن كان حصوله يكون بعد فاصل زمني بينه وبين خلق الإنسان في أحسن تقويم؟!!

ثانياً: إنه تعالى في سورة التين استثنى من الرد أسفل سافلين ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لكنه زاد على هذين الأمرين أمرين آخرين في سورة العصر فقال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

ونجيب:

أولاً: ليس سبب هذا الاختلاف: أنه أجهل في سورة التين، وفصل في سورة العصر، بل هو أمر آخر نبينه كما يلي:

إنه تعالى قال في سورة التين: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾، فنسب الفعل لنفسه..

أما في سورة العصر، فلم ينسب الفعل إلى نفسه، بل أطلق الحكم بالخسران الذي يصيب الإنسان، دون أن يفصح عن مسيبه وفاعله..

فإذا كان الله تعالى قد أعطى الإنسان أعظم العطايا وأجلها، حتى جعله في أحسن تقويم.. فرفض الإنسان ذلك كله، وطغى وتمرد، وجعل بينه وبين الله السدود، وأصر على الإنكار والجحود، وتجاهل كل هذه الملكات والمؤهلات، والمنح والبركات، فإن هذه المنح تصبح بلا أثر، وتتحول إلى ركام، فما بالك إذا وظفها في خدمة الشيطان، ورضي بأن يكون أسفل سافلين؟!!

ولكنه في سورة العصر قد تحدث عن الإنسان الذي لم يرفض هذه الكمالات والعطايا، وإنما أراد أن يستفيد منها، ولكنه ربما غلبه هواه، أو دعت شهوته،

إلى بعض المخالفات، فإذا ارتكبتها فكذب، أو اغتاب، أو لم يقيم إلى صلاة الصبح مثلاً.. فإنه سيلحق ضرراً بكمالاته، وسيبتلى بالصدود عن الحق، وربما لم يستجب الله له دعاءً مدة من الزمان.. ولكنه لا يرد إلى أسفل سافلين، كما هو واضح.

ثانياً: ولأن الكلام في سورة العصر هو عن العصاة الذين لا يكرهون الحق، ولا يتنكرون للخير والصلاح.. فإن هذا الإنسان الذي قد يغلبه هواه يحتاج إلى الصبر على الطاعات، وإلى التزام جانب الخيرات، فلا يدفعه هواه إلى التعدي، أو إلى الظلم، أو الحيف على الآخرين..

### إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا:

وقد قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فاستفاد من الموصول، وجعل صلته فعلاً ماضياً، مع أنه كان يمكن أن يستثنى المؤمنين مباشرة من دون توسط اسم الموصول.

### ونجيب:

بأن الإنسان قد يؤمن، لأنه ولد في بيئة إيمانية، أو اكتسب الإيمان من أمه، أو من أبيه، أو من تلقين مربيته، أو معلمه، أو ما إلى ذلك.. ويكون إيمانه عفويًا، وبصورة ساذجة، وغير واعية، بسبب غفلته عن التأمل في موجبات الإيمان، فلو قال: إلا المؤمنين، لتوهم متوهم: بأن إيمان الغافل الآتي من البيئة غير المتدينة ومن التلقين يكفي في ذلك.

ولكنه حين قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، علم أن المراد هو من اختار الإيمان بملاء إرادته، بعد أن وجد نفسه أمام خيارين، فرجحت له الدلالات والقرائن

اختيار الإيمان، فاختره.

وهذا هو المطلوب في الأمور العقائدية، إذ لا يكفي فيها تقليد الآباء،  
والأخذ من أي كان من الناس..

بل المطلوب: الإيمان عن دليل وحجة، وإنما يفعل هذا الإنسان الواعي  
والمتوازن.

وهذا يفسر لنا أيضاً: قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فإن المطلوب  
هو اختيار العمل بالصلح، فلو أكره على الإتيان بها لم تفده في الوصول  
إلى الأهداف السامية كما تقدم.

ثانياً: إن الاستفادة من الفعل الماضي في موارد العلم بأن المراد يشمل  
الحال والاستقبال أيضاً، يفيد: أن ما يتحدث عنه حتمي الوقوع إلى حد أنه  
يخبر عنه كأنه قد وقع فعلاً.

### وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ:

1 - ثم أضاف إلى الإيمان الآتي عن تدبر، ووعي واختيار قوله: ﴿وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ﴾. ومن المعلوم: أنه تعالى لم يزل يقرن الإيمان بالعمل الصالح في  
العشرات من الآيات..

وقد علم مما ذكرناه آنفاً: أنه تعالى إنما قال: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بصيغة  
الفعل الماضي لسببين:

أحدهما: الإعلام بأنه أمر حاصل بلا ريب، حتى ليصح أن يدعى أنه  
قد حصل فعلاً.

الثاني: أنه يريد أن يدل على أن إيمانه ليس مورثاً، وليس عفويّاً، ولم يأتَه على حين غفلة منه، بل هو عن التفات وتدبّر، واختيار، استناداً إلى الدليل والحجة.

2- إنه تعالى اختار كلمة الصلاح لتكون عنواناً للعمل في هذه الحياة، ربما ليدل بذلك على أن العمل الصالح هو الذي ينسجم مع طبيعة التكوين، ويتوافق مع مقتضيات الخلق، ويؤدي الغاية التي أراد الله تعالى له أن يؤديها.

والعمل الصالح ليس هو مجرد عمل توليدي، يخرج من عالم القوة إلى عالم الفعل.. بل هو جهد، وإخلاص، ونية، وأهداف.. فمن يصلي وهو مسلم ومؤمن، متقرباً إلى الله تعالى، تكون صلواته محققة لأهدافها، لكن من يصلي رياء مثلاً، فإن صلواته ليس فقط لا توصل إلى غاياتها، بل هي تبعد عنها، وتوجب تضييعها وبوارها.

ومن ينفق المال على الفقراء لشراء ولائهم، ولتسخيرهم في تحقيق أغراضه الشخصية الدنيوية، واستغلال جهدهم في خدمة طموحاته الشريرة، أو شهواته الخطيرة، فإن انفاقه هذا يكون رذيلة وليس فضيلة.

ومن يتعامل مع الآخرين بصدق وأمانة بهدف جرهم إليه، والتقويّ بهم على باطله، فإن عمله هذا يكون إجرامياً، وليس من الفضائل في شيء، بل هو ينم عن درجة عالية من الغرور، والأنانية، وتضخم حب الذات لديه، بل هو وحش كاسر، وجبار قاهر.. وصدقه هذا، وأمانته تلك يكونان من رذائله، لا من فضائله.

كما أن من يصوم ويحج ليكسب وجاهة وموقعاً عند الناس، وهو في

التين..

الباطن ملحد لا يؤمن بالله، ولا بأنبيائه ولا ببعث ولا حساب، لا يمكن  
عد أي شيء من أعماله من الصالحات..

3- يلاحظ هنا أمران:

أحدهما: أنه تعالى حين ذكر العمل بين صفته، والخصوصية المطلوبة  
فيه، وهي: أن يكون صالحاً.

ولكنه حين ذكر الإيمان، لم يذكر له أي وصف، أو متعلق، فهل المراد  
الإيمان بالله، أو بالنبى، أو البعث، أو غير ذلك؟!

الثاني: إنه تعالى ذكر الإيمان، مكتفياً بالإشارة إلى حقيقته.

ولكنه حين تحدث عن العمل تحدث عن مصاديقه، وأفراده المتعددين..  
فجاء بصيغة الجمع، ولم يشر إلى طبيعة العمل من حيث هو عمل.

ونجيب:

بأنه تعالى يقول: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ. بَلَى قَادِرِينَ عَلَى  
أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ. بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ (1).

ومن الواضح: أن إنكار المشرك وجود الله تعالى، ورضاه بأن يعبد  
الحجر والشجر، وتُنكر النبوات، والبعث والحساب، والثواب والعقاب،  
فإن كل همّه يكون مصروفاً لإنكار هذا الأمر الأخير، أعني البعث والحساب،  
لأن القبول بهما يحتم عليه الخضوع لأحكام الشرائع، ويقيد حركته، ويفرض

(1) الآيات 3-6 من سورة القيامة.



عليهم طاعة الأنبياء..

وهو يريد التحرر من أي التزام، حتى لا يكون عليه أي رقيب أو حسيب، فكيف إذا ألزمته بالرقابة الإلهية التي تكون من قبل علام الغيوب؟! ومن هو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، الذي لا بد أن يحاصره بالأحكام، والأوامر، والزواجر، ثم بالاشراف على كل كبيرة أو صغيرة..

لاسيما وأنه جعل الحساب والثواب في المستقبل، فلم يكن ليفوته أحد، ولا يمكنه الهرب والنجاة إلا أن يخرج من أرض الله، ومن تحت سمائه ومن أين، وأنى له ذلك؟!!

هذا، في حين أن القوانين في الدنيا يمكن التملص والخلاص منها، بالتستر على المخالفة، وبالاحتيال على القانون، بل هو قد يوظف القانون لخدمة أهوائه، ولا يستطيع أحد فعل شيء معه، حتى لو كان الأمر واضحاً وفاضحاً، فبالقانون تُسلب الحقوق، ويُظلم الضعيف، ويعتدى على الأبرياء، وما إلى ذلك..

ولأجل ذلك تجد المشركين والكافرين يستمتتون في حربهم على الأديان، وأهلها، ويحرصون على إلقاء الشبهات، وإثارة الشكوك.

وهذا ما يرمي إليه قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾<sup>(1)</sup>.

أي في مستقبل أيامه، يريد أن يخرق الحواجز، ويتفلت من القيود،

(1) الآية 5 من سورة القيامة.

ويفسد حياة الناس، ويعرقل مسيرتهم في الحياة، ويعبث بسعادتهم.  
وبذلك يظهر: أن الإنسان الكافر، يجره تكذيبه بيوم الدين والقيامة إلى  
الطعن بالنبوات، وحين تفهره معجزاتهم، فلا مانع لديه من إنكار الإلوهية  
من رأس.

وللتوضيح أكثر نقول:

إن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾. قد دلنا على ما  
له تعالى من صفات، وأنه حي قيوم، قادر، حكيم، عليم، حلیم، مدبر،  
رازق، شاف، رحيم، وغير ذلك من صفات تحتاج إليها عملية الخلق في  
أحسن تقويم.. في حفظه، وبقائه، ورعايته، وتنميته، وصونه، وفتح الآفاق  
أمامه.. بالإضافة إلى هدايته، وعلمه، وتربيته، وتأکید عبوديته لله تعالى،  
ليستفيد من كل ما حباه الله به في مسيرته نحو تبارك وتعالى.. ويبلغ أعلى  
الدرجات، وأقصى الغايات.

كما أن ذلك يحتم إرسال الرسل إليه، وإبلاغه الشرائع والأحكام، وكل  
ما يحتاج إليه.. ثم إلى مراقبة وإشراف، ثم إلى محاسبة ومثوبة، وعقوبة.. إذ  
لولا ذلك لم يكن للتشريع فائدة.

فَخَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ دلنا على الله، وصفاته، وأسمائه، وعلى  
أنبيائه، وعلى الشرائع والأحكام، وعلى البعث والنشور، وسائر الاعتقادات.  
ولذلك قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، من دون تقييد، ليكون مدخلاً إلى  
جميع الاعتقادات.

## الصالحات هي المعيار:

1 - وملاحظة أخرى نسجلها حول كلمة الصالحات، وهي: أنه تعالى لم يقل مثلاً: عملوا ما فرضناه عليهم، أو ما شرَّعناه لهم.. ربما لكي لا يتوهم: أن المطلوب في التشريع هو فعل المأمور به، حتى لو لم يكن فيه حفظ مصالح العباد، ومنها مصلحة العامل بالتكليف نفسه.

فأراد تعالى أن يصرِّح: بأن المطلوب هو ما فيه صلاح للناس، ومنهم العامل.. بالإضافة إلى حفظ الانسجام، والتوافق مع سائر المخلوقات التي لها علاقة من نوع ما بالفعل الذي أنجز.. سواء أكانت علاقة تكوينية، أو علاقة اجتماعية، أو حالة نفسية، أو مشاعرية.

ومن جملة ما يحقق صلاح الفعل هو التبعّد والإنقياد، والطاعة، فإنها حاجة وضرورة للعباد، وليست حاجة لله سبحانه، قال تعالى مخاطباً عباده: ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾<sup>(1)</sup>.

2 - وقد ظهر مما تقدم: أن غايات وأهداف الإنسان الذي هو في أحسن تقويم، لا تتحقق إلا بعنصرين، هما: الإيمان والعمل الصالح. ولا يكفي أحدهما.

3 - وقال: ﴿الصَّالِحَاتِ﴾.. الألف واللام للعهد. أي الصالحات التي نعرفها.. إما بإدراكنا لصلاحها، أو لدلالة الشرائع على الصلاح فيها، أو للإشارة إلى الحقيقة، وفي الحالتين نقول:

المراد: الأعمال الصالحة صلاحاً واقعياً حقيقياً، من حيث انسجامها مع

(1) الآية 15 من سورة فاطر.

ما تقتضيه الفطرة، وما يلائم الخلقة، وما يفرضه النظام الكوني العام في مختلف المجالات، وسائر الاتجاهات، وما تتطلبه النواميس التي أودعها الله في هذا الكون الرحيب والعجيب.

4- كما أن هذه اللام تفيد الاستغراق، حيث يراد بها جميع الأعمال الصالحة، حين لا بد من فعلها، حيث يحضر وقتها وأوانها.

ولو قال: وعملوا صالحاً، أو عملوا صالحات لاختل المعنى.. لأن الإنسان قد يكتفي بالعمل الصالح في بعض حياته، ولو بصورة انتقائية في حين أن المطلوب: هو أن لا يخل بالعمل الصالح في حياته كلها، ولو في جزئية مهما صغرت، لأن ذلك يلحق ضرراً ونقصاً بحسن التقويم.

### فَلَهُمْ أَجْرٌ:

ثم قال تعالى: ﴿فَلَهُمْ﴾.. الفاء: حرف عطف وربط لما في الموصول من معنى الشرط.

واللام في لهم تفيد الملكية، بمعنى: أن الله الذي هو المالك الحقيقي لجميع الأشياء، يملك عبده المؤمن العامل للصلوات ما يمنحه تعالى إياه من عطايا. فهو عطاء على سبيل التمليك، ولذا لم يقل: فسأعطيهم كذا وكذا، أو سأمنحهم جائزة، أو مكافأة تتساوى مع حجم أعمالهم، لأن ذلك لا يجعل للإنسان أي حق في الجائزة، أو المكافأة، أو العطية، بل هي بمثابة منحة وهدية لا أكثر، ويمكن أن لا نهدي أو لا نمنح أحداً شيئاً. ولكن إذا ملكته شيئاً، فليس لك أن تجسه عنه، أو أن تسلبه إياه، فلو

حصل ذلك كان منافياً لمعنى العدل، ويصبح من الظلم المنافي لمعنى الألوهية. ويؤكد هذه المعاني قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ﴾.. فإن الأجر لا يكون إلا مقابل عمل، ويكون عن استحقاق، وإن كان أصل جعل الأجر لعبد مملوك ملكاً حقيقياً لمولاه، يكون تفضلاً من المولى. إذ ليس للعبد أن يمتنع عن امتثال أمر سيده، في حين أن للسيد أن يتفضل على عبده، كما يتفضل على ولده تكريماً، أو ترغيباً له بالمزيد من الطاعة، وابتغاء المثوبة، وليندفع الآخرون للتأسي والاتباع أيضاً.

ومن المعلوم: أن الاستحقاق على نحوين:

1- استحقاق حقيقي يفرضه الواقع.

2- استحقاق تفضلي تكريمي، أو من موقع الرأفة والرحمة.

وإذا تفضل الله تعالى، وجعل لنا أجراً على أعمالنا، ثم سوفنا، وأهملنا، ولم نفع شيئاً، فلا نستحق أجراً؟!!

**غَيْرُ مَمْنُونٍ:**

وقوله تعالى: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ يريد أنه غير مقطوع، لا من قبل نفسه، ولا بأن يقطعه غيره.

ولم يقل: غير منقطع، لأنه قد يظهر منه أنه لا ينقطع بنفسه، إلا أن يقطعه الآخرون، وهذا المعنى لا يدل على تواصل العطاء، الذي هو مقتضى التفضل الإلهي..

ومقتضى كونه أجراً على أمر ثابت وباق، أنه أجر باق، إما بنفسه، أو

التين..

---

لأجل اتصاله بالباقي والمطلق، واللامتناهي، حين يؤتى به لوجه الله الباقي.  
قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾<sup>(1)</sup>.

---

(1) الآية 27 من سورة الرحمن.

## الفصل الخامس:

فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ؟! أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ

بِشَيْءٍ





## فَمَا يُكَذِّبُكَ:

ونصل هنا إلى قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ﴾<sup>(1)</sup>.  
ومن المعلوم: أن الفاء في قوله: ﴿فَمَا﴾ هي فاء الفصيحة، أو الفصيحة،  
لأنها تفسح شرطاً، أو تفسح عن شرط مقدّر، دل عليه سياق الكلام،  
فكأنه قال: إن علمت هذا أيها الإنسان، فما يكذبك؟!  
وهذا يعطي: أن المقام مقام استدلال واحتجاج، فيكون ما بعد فاء  
الفصيحة نتيجة وثمرة لما قبلها، وليس كلاماً اقتراحياً، ولا هو تقرير أمر بصورة  
عفوية، وابتدائية.

## يُكَذِّبُكَ:

وتضمن قوله: ﴿يُكَذِّبُكَ﴾ الإشارة إلى أمور عديدة، نذكر منها ما يلي:  
ألف: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.. فبعد أن ذكر خلق الإنسان في  
أحسن تقويم، ثم تابع الكلام مستفيداً من ضمير الغائب، وما يناسب الغيبة  
من الصيغ، ثم التفت إليه ليقول له: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ مستفيداً من كاف الخطاب.  
وهو إنما يتحدث عن الإنسان بما هو موجود عاقل مختار، وربما اختار

---

(1) الآية 7 من سورة التين.

الكفر وقليل منه يختار الإيمان.. وها هو قد التفت وشافهه بالكلام، وواجهه بالحقيقة..

ومن المعلوم: أن المواجهة والمشافهة أقسى عليه مما لو تكلم عنه بصيغة الغائب، فإن المشافهة فيها تشديد للإنكار عليه، وإظهار لشناعة هذا السلوك الذي اختاره لنفسه.

ب: إن كلمة «ما» في قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ هي للاستفهام الإنكاري التويخي، وفيه عتب وملامة، ومخطئة تدعو لمراجعة الحسابات.

ج: إنه تعالى قال لهذا الإنسان: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾، ولم يقل له: لماذا تكذب بيوم الدين؟! ولعل السبب في اختيار هذا التعبير: أنه في نفس الوقت الذي يقرر سبحانه الحقيقة - أعني حقيقة التكذيب - كما هي، وبضرس قاطع، لا يشوبه شك أو ترديد.. يريد سبحانه أن يسهل أمر التراجع، وإعادة النظر على هذا الإنسان الضعيف الذي تتحكم به أهواؤه وشهواته، وتقوده - بالشبهات والعصبيات، والإغراءات وسواها - إلى الضلال والانحراف..

فلذلك قال له: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾. أي ما الذي جعلك تفعل هذا؟! وكأنه فرضه يعاني من أمر يضغط عليه، ويفرض عليه هذا التكذيب، ولو خلى ونفسه، لربما يكون له موقف آخر.. ولأجل ذلك لم ينسب إليه التكذيب مباشرة، وإنما أزاحه قليلاً من المواجهة المباشرة، ليتمكن من أن ينسلّ ليكون بعيداً عنها، ثم يتنكر لهذا التكذيب، وبذلك يحفظ له بعض ماء وجهه، ولا يكون في غاية المذلة والانسحاق.

وهذا من مفردات الرفق والرحمة به..

### بَعْدُ:

وقوله: ﴿بَعْدُ﴾ مبني على الضم لحذف المضاف إليه، ونية الإضافة، التي هي المعاني الحرفية التي تدعو لبناء ما تعلق به، لأنها تجعله مفتقراً إلى الطرف الآخر أيضاً، فكأنه قال: «فما يدعوك» بعد هذه الدلالات الظاهرة إلى التكذيب.

### بِالَّذِينَ:

وقد أنكر عليه التكذيب بالدين، ولم يقل: بالبعث والنشور، أو بيوم القيامة، مثلاً..

ولعل سبب ذلك: أن الأمر الذي تحكم به العقول هو مجازاة من يتمرد على مولاه، الخالق، والرازق، والشافي، والمدبّر الخ.. ويهتك الحرمات.. ولاسيما إذا كان مولاه هو خالقه، ورازقه، ومدبره، وحافظه الخ..

وأما أن يكون ذلك الجزاء بهذه الطريقة، أو بتلك، فإن العقول لا تدرك ذلك.. فلا يحكم العقل: بأن العقوبة لا بد أن تكون بعد البعث والنشور للأجساد، وإنما يثبت ذلك بالنص، فقد تكون في البرزخ، أو قبل ذلك..

كما أن العقل لا يحتم أن تكون العقوبة والمثوبة من خلال هذا الجسد مثلاً.. وإنما ذلك يعينه النص..

وهل المجازاة بالنار، أو بالسجن، أو بغير ذلك؟! وهل المثوبة بالجنان، أو بأنواع أخرى من النعم؟! إن النص هو الذي يحدد ذلك أيضاً.

وهذا الحكم العقلي بلزوم المثوبة والعقوبة لا يختص بالمؤمن، بل تحكم به

جميع العقول، ومنها عقول المشركين والكافرين، والعلماء، وغير العلماء.. و.. و..  
ولكن لو قال: فما يكذبك بيوم القيامة؟! فقد يقول قائل: إن يوم القيامة  
لا تدركه عقولنا، لأن إدراك هذا الأمر يتوقف على الاعتقاد بالألوهية، والنبوة،  
وتصديق الأنبياء فيما يقولونه، فلا تدركه عقول سائر البشر: المشرك والكافر  
منهم، والمؤمن.

### أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ؟!

ثم قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾..

فقد استُهلَّت هذه الآية باستفهام تقريري، بحقائق لها دور محوري  
ومصيري في الوجود كله..  
ومن هذه الحقائق:

### أولاً: الألوهية حقيقة مفروغ عنها:

تضمنت اعتبار التوحيد أمراً مفروغاً عنه، وأساساً غير قابل للريب، وهو  
من المسلمات التي لا مجال للنقاش فيها، وما تضمنته سورة التين من ألفها  
إلى يائها حافل بالدلالات والشواهد القاطعة على هذا الأمر..

### ثانياً: إِنََّّ هَ تَعَالَى حَاكِم:

وأثبتت آيات هذه السورة المباركة: أنه تعالى حاكم على هذا الكون كله،  
لأن من يخلق الكون كله، ويخلق الإنسان في أحسن تقويم، ثم يرده أسفل  
سافلين، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فهو حي، قيوم، عالم، قادر،

مدبر، غفور، رحيم، حكيم، حلیم.. وهو العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، الرازق، الشافي، والخير، والبصير.. إلى غير ذلك من الصفات الحسنى، والأمثال العليا، التي هي صفات الحاكم المهيمن، المدبر لجميع الكائنات.

### ثالثاً: إنه تعالى حكيم:

إن الله تعالى بما له من صفات أشرنا إلى بعضها أنفاً هو المهيمن والمتصرف، والمدبر لهذا الكون كله، من موقع الحكمة، والعلم، والقدرة، والرحمة، ولهذا كان هو الحاكم المطلق في المخلوقات كلها، والخالق للإنسان في أحسن تقويم، وهو المطلع على الأسرار والخبايا، والعالم بالخفايا، والأقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.

وبسبب ذلك، فهو القادر على أن يضع الأمور في مواضعها لوقوفه على الأسرار، وعلى الحقائق والدقائق، وعلى مدى التفاعل والتأثير، والتأثر بين الموجودات.

ولو كان هناك أدنى خفاء للأمر عليه، ولو بمقدار ذرة، لما أمكن الإطمئنان إلى أن الأمور قد وضعت في مواضعها بالفعل، بل تكون الأمور موكولة إلى الصدف.

### الحكمة تحتاج إلى تعليم:

وقد قال تعالى في سورة الجمعة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ

التين..

قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾.

فقد دلت هذه الآية على أن الحكمة تحتاج إلى تعليم، ودلالة إلهية، وأن الأميين الذين أرسل الله إليهم نبيه محمداً «صلى الله عليه وآله» كانوا قبل إرساله إليهم في ضلال مبين، لأنهم لم يستفيدوا من الآيات الآسرة للعقول، وكانوا يجهلون بالكتاب، ويجهلون بالحكمة.

وقد يظن ظان: أن الحكمة إذا كانت هي وضع الأمور في مواضعها، فإن كل عاقل سيكون عارفاً بها، قادراً على العمل بموجباتها.. لأن الناس يدركون الأمور، ويعرفون كيف يتعاملون معها..

غير أننا نقول:

إن الإنسان وإن كان يملك عقلاً، لكن العقل مجرد آلة للإدراك، إذا وضعت الأمور أمامه.. فإن غابت عنه، فإن قدرته على وضع الأمور في مواضعها لا تفيد شيئاً، ولا توصل إلى شيء، إلا في بعض الموارد اليسيرة جداً، التي لا يشوبها أي غموض، أو إبهام..

والأمر في أكثر الموارد ليس كذلك، فإن الإنسان لا يعرف من أسرار الخلق شيئاً يذكر.. ويكفي في الدلالة على ذلك قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (2).

(1) الآية 2 من سورة الجمعة .

(2) الآية 7 من سورة الروم.

وقد جاءت كلمة «ظاهراً» منكراً، لإفادة التقليل، فكيف يعرف الجاهل بالأمور طبيعة التأثير والتأثير في الموجودات، وحقيقة التفاعل بين هذا الأمر، وبين ما عداه من موجودات وأحوال؟!!

ويدل على ذلك أيضاً نفس آية سورة الجمعة، التي ذكرناها آنفاً.

### الحكمة تتلاقى مع صفاته تعالى:

ويلاحظ: أنه تعالى قد ركز على صفة الحكمة.. وهي الصفة التي تتلاقى مع أكثر الصفات التي نجريها عليه تعالى، واستفدناها من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ إلى آخر السورة.

فالحكيم يلتقي مع الكريم والحليم، والرحيم، والعليم، والقادر، والبصير، والخبير، والخالق، والرازق، والحي القيوم، والشافي، و.. و.. الخ..

في حين أن بعض الصفات الأخرى، لا يتمتع بهذه الخصوصية، فلو استبدل تعالى الحكمة بصفة القادرية مثلاً، فقد نجد بعض القاصرين، ومرضى النفوس يقول:

لعل هذا القادر لا يضع الأمور في مواضعها، أو قد لا يكون غفوراً ولا رحيماً، ولا تواباً، ولا عالماً بالخفايا، ولا أقرب إلى الإنسان من جبل الوريد.. لكن الحكيم يكون تواباً، وغفوراً من موضع حكمته، ويكون أيضاً رازقاً، وشافياً، ومدبراً.. إلى آخر ما قدمناه.

### الحاكم يحتاج إلى الحكمة:

ومن الواضح: أن الحكمة هي من أهم صفات الحاكم الخالق، القادر،

العالم، المتصرف، المدبر الخ.. لأن حكومته وهيمنته، وإمساكه بالأمر، ومسؤوليته تجاه من يرعاه، ويريد أن ينميه، ويزكيه، تفرض أن يضع الأمور في مواضعها، وهذا يحتاج إلى العلم، وإلى القدرة، وغير ذلك أيضاً..

**الله أحكم الحاكمين:**

والسؤال هنا هو:

كيف يقيس الله تعالى نفسه في حاكميته، وهيمنته، وحكمته، وتدييره، بسائر الحكام سواه، وهم من مخلوقاته، وفي قبضته؟! ألا يعد هذا إمضاء لتصرفات هؤلاء القاصرين، وإقراراً لحاكميتهم؟!

**ونجيب:**

أولاً: إنه لا دليل على أن المراد بالحاكمين هو كل من تسلط على غيره، ولا سيما هؤلاء الظلمة، والجبّارون، ولا نحسب أن لدى هؤلاء اهتماماً بالقسط والعدل، ووضع الأمور في مواضعها، إلا في الموارد التي يريدون أن يجلبوا بها نفعاً لأشخاصهم، أو أن يدفعوا ضرراً عن أنفسهم.. وهؤلاء لا يقيس الله تعالى نفسه بهم، لأنهم لا يعرفون شيئاً عن أسرار الخلق والتكوين، وإنما هم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا.

فهل يقاس هؤلاء برب العزة، الخالق، القادر، العليم، الحكيم الخ..؟! بل إن نفس تسلطهم على الناس بغير حق، ومن دون رضى خالقهم يعد نقضاً لمعنى الحكمة، لأنه يكون وضعاً للأمر في غير مواضعها.

ثانياً: إن المقصود بالحاكمين في الآية الشريفة - كما يظهر -: هو الأنبياء،



وأوصياؤهم، ومن يقيمونه مقامهم، من الأبرار الأخيار، لأنهم هم الذين أذن الله تعالى لهم بهداية الأمة، ورعايتها، وتدبير شؤونها من موقع الحكمة، ومراعاة أحكام الشريعة، والتماس رضا الله تبارك تعالى..

### وللتوضيح نقول:

ألف: إن بعض الأمور تكون في غاية الوضوح والظهور، وليس فيها أي لبس، مثل لزوم معونة الأنبياء، وقبول دعوتهم، والذب عنهم، وحفظهم، والجهاد بين أيديهم.. بعد ظهور صدقهم بالمعجزات، مثل إحياء عيسى «عليه السلام» للموتى، وإبرائه الأكمه والأبرص..

فهذه المعونة، وذلك الجهاد والنصر يكون من الحكمة، التي تدركها العقول على اختلافها..

ب: ومن الحكمة: ما تكفل الشرع بالإرشاد إليه، والدلالة عليه، من خلال ما شرعه من أحكام، وما أفصح عنه في بياناته القاطعة.

ج: من الحكمة أيضاً: ما قد يبقيه الله في دائرة الغموض، حتى بالنسبة للأنبياء والأوصياء، لمصالح يعلمها سبحانه تقتضي ذلك.. فيرجع النبي إلى الله ليكشف له الحقيقة عن طريق الوحي إليه.

د: ومن موارد الحكمة: ما استأثر الله تعالى به لنفسه، مما يرتبط بأسرار راقية جداً، فيكون الله تعالى وحده العالم بما يتلاءم معها، ويليق بها.

### فبعدها تقدم نقول:

هو لاء الحاكمون من الأنبياء، والأوصياء، والأخيار التابعين لهم، هم الذين يسعون في مصالح العباد، ويتعاملون معهم وفق مقتضيات الحكمة،

وما ينسجم مع شؤون التكوين بصورة دقيقة، من خلال إجراء أحكامه سبحانه، والرجوع إليه سبحانه، ليمدهم بواسطة الوحي، بما يحتاجون إليه مما وراء ذلك..

وقد ظهر مما تقدم أيضاً: أن ثمة فرقاً بين آلة الإدراك للحكمة، وهي العقل، وبين الحكمة نفسها، فإن الآلة قد تعجز عن إدراك الحكمة بسبب عدم معرفتها بأسرار الخلقة، وبمقتضياتها وأحوالها..

### السؤال التقريري الأخير:

ثم إن هذا السؤال التقريري في هذه الآية الأخيرة من هذه السورة يدلنا على أمور ثلاثة:

أولها: أن الله تعالى قد جعل من خلق الإنسان، ومن مسيرته في الحياة دليلاً على عدم وجود مبرر للتكذيب بيوم الدين والجزاء.

ثانيها: أنه جعل سبحانه من ذلك كله بما فيه حقيقة الجزاء دليلاً على حكمة الله، بل على أحكاميته، التي لا تدانيها حكمة..

ثالثها: إنه دليل على حاكميته الحقيقية، وهيمته التامة على جميع المخلوقات. والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطاهرين..

## كلمة أخيرة:

و حين نختم الكلام حول سورة التين، فإننا نحب أن نعيد التذكير بعجزنا عن إدراك معاني القرآن، ومع تأكيدنا على أن ما نجده في السور القصار من حقائق ودقائق ما هو إلا غيض من فيض، وقطرة من بحر.. لا نجد أمامنا خياراً منطقياً ومعقولاً، سوى الانكفاء عن خوض غماره، ومواجهة تياره.. ونكتفي بهذه الإطالة على سواحه التي لا تنتهي، معترفين بقصورنا الشديد، وعجزنا الأكيد..

وليس بيدنا أية حيلة، أو وسيلة لنيل بعض جواهره، إلا أن نعود إلى الذين خوطبوا به، فعرفوه، ووقفهم الله لإدراك أسرارهم، واستكناه معانيه، فتدبروا بها وعقلوها.. لكي نأخذ منهم، ونحمل عنهم..

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين..

**بيروت - 26 شعبان سنة 1437هـ ق**

**الموافق 2 حزيران سنة 2016م ش.**

**جعفر مرتضى الحسيني العاملي**



# الفهارس

1 - الفهرس الإجمالي

2 - الفهرس التفصيلي



## الفهرس الإجمالي

- 9..... الفصل الأول: وَالتَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سَيْنِينَ
- 26..... الفصل الثاني: وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ
- 47..... الفصل الثالث: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ
- الفصل الرابع: ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
68..... فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ
- الفصل الخامس: فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ؟! أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ؟!  
87.....
- 99..... كلمة أخيرة:
- 97..... الفهارس:





## الفهرس التفصلي:

7	تقديم:
9	الفصل الأول: وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ
11	سورة التين مكية:
13	وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ:
14	أهداف القسم بالمخلوقات:
15	للتدليل على ما سبق:
17	أنواع مما أقسم الله تعالى به:
18	تراتبية في البركات والخصوصيات:
24	خصوصيات أخرى:
24	لا نريد البحث في الأقوال:
26	الفصل الثاني: وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ
28	موقفان متغايران:

- 31 ..... مكة في النصوص:
- 34 ..... إيضاحات:
- 36 ..... المطلوب من مكة:
- 36 ..... أولاً: المعيشة في مكة:
- 38 ..... ثانياً: العلم والثقافة:
- 40 ..... ثالثاً: الأخلاق والقيم:
- 40 ..... رابعاً: الحالة الإجتماعية:
- 43 ..... خلاصة وبيان:
- 45 ..... إن أولياؤه إلا المتقون:
- 47 ..... الفصل الثالث: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ .....
- 49 ..... لَقَدْ خَلَقْنَا:
- 50 ..... ما المراد بالخلق؟!:
- 52 ..... خَلَقْنَا:
- 53 ..... الْإِنْسَانَ:
- 54 ..... في أحسن تقويم، كيف؟! ولماذا?!:
- 59 ..... الأحكام الإسلامية:
- 63 ..... خلاصات وتوضيحات:
- 64 ..... الإنسان والأهداف:

- 66 ..... خَلَقْنَا لَا خَلْقَتْ: الفصل الرابع: ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
- 68 ..... فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ
- 70 ..... ثُمَّ رَدَدْنَاهُ:
- 70 ..... رَدَدْنَاهُ:
- 72 ..... الأسفل مفهوم إضافي:
- 75 ..... مقارنة لا بد منها:
- 77 ..... إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا:
- 78 ..... وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ:
- 83 ..... الصالحات هي المعيار:
- 84 ..... فَلَهُمْ أَجْرٌ:
- 85 ..... غَيْرُ مَمْنُونٍ:
- الفصل الخامس: فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ؟! أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ؟!  
87 .....
- 89 ..... فَمَا يُكَذِّبُكَ:
- 89 ..... يُكَذِّبُكَ:
- 91 ..... بَعْدُ:
- 91 ..... بِالذِّينِ

التين..

- 92 ..... أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ؟! .....
- 92 ..... أولاً: الألوهية حقيقة مفروغ عنها: .....
- 92 ..... ثانياً: إنه تعالى حاكم: .....
- 93 ..... ثالثاً: إنه تعالى حكيم: .....
- 93 ..... الحكمة تحتاج إلى تعليم: .....
- 95 ..... الحكمة تتلاقى مع صفاته تعالى: .....
- 95 ..... الحاكم يحتاج إلى الحكمة: .....
- 96 ..... الله أحكم الحاكمين: .....
- 98 ..... السؤال التقريرى الأخير: .....
- 99 ..... كلمة أخيرة: .....
- 103..... الفهرس: .....

## كتب مطبوعة للمؤلف

- 1- الآداب الطيبة في الإسلام
- 2- ابن عباس وأموال البصرة
- 3- ابن عربي سنّي متعصب
- 4- أبو ذر لا إشتراكية.. ولا مزدكية
- 5- أحيوا أمرنا
- 6- إدارة الحرمين الشريفين في القرآن الكريم
- 7- إسرائيل.. في آيات سورة بني إسرائيل.. تفسير ثمان آيات..
- 8- الإسلام ومبدأ المقابلة بالمثل
- 9- الإعتقاد في مسائل التقليد والإجتihad (صدر منه جزء واحد)
- 10- أفلا تذكرون «حوارات في الدين والعقيدة»
- 11- أكذوبتان حول الشريف الرضي
- 12- الإمام علي والنبي يوشع<sup>٧</sup>
- 13- أهل البيت<sup>٨</sup> في آية التطهير
- 14- أين الإنجيل؟!!

التين..

- 
- 15- بحث حول الشفاعة
- 16- براءة آدم × حقيقة قرآنية
- 17- البنات ربائب.. قل: هاتوا برهانكم
- 18- بنات النبي ' أم ربائبه؟!
- 19- بيان الأئمة وخطبة البيان في الميزان
- 20- تحقيقي در باره تاريخ هجري
- 21- تخطيط المدن في الإسلام
- 22- تفسير سورة ألم نشرح
- 23- تفسير سورة التين (هذا الكتاب)
- 24- تفسير سورة الضحى
- 25- تفسير سورة الفاتحة
- 26- تفسير سورة الكوثر
- 27- تفسير سورة الماعون
- 28- تفسير سورة الناس
- 29- تفسير سورة هل أتى (جزءان)
- 30- توضيح الواضحات من أشكال المشكلات
- 31- الحاخام المهزوم
- 32- حديث الإفك
- 33- حقائق هامة حول القرآن الكريم
- 34- حقوق الحيوان في الإسلام

- 35- الحياة السياسية للإمام الجواد ×
- 36- الحياة السياسية للإمام الحسن ×
- 37- الحياة السياسية للإمام الرضا ×
- 38- خسائر الحرب وتعويضاتها
- 39- خلفيات كتاب مأساة الزهراء ÷ (ستة أجزاء)
- 40- دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام (أربعة أجزاء)
- 41- دراسة في علامات الظهور
- 42- دليل المناسبات في الشعر
- 43- ربائب الرسول ' «شبهات وردود»
- 44- رد الشمس لعلي ×
- 45- زواج المتعة (تحقيق ودراسة) (ثلاثة أجزاء)
- 46- الزواج المؤقت في الإسلام (المتعة)
- 47- زينب ورقية في الشام!!
- 48- سلمان الفارسي في مواجهة التحدي
- 49- سنابل المجد (قصيدة مهداة إلى روح الإمام الخميني وإلى الشهداء الأبرار)
- 50- السوق في ظل الدولة الإسلامية
- 51- سياسة الحرب في دعاء أهل الثغور
- 52- سيرة الحسين × في الحديث والتاريخ (أربعة وعشرون جزءاً)
- 53- شبهات يهودي
- 54- الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة

التين..

- 55- الصحيح من سيرة الإمام علي × (ثلاثة وخمسون جزءاً)
- 56- الصحيح من سيرة النبي الأعظم ' (خمسة وثلاثون جزءاً)
- 57- صراع الحرية في عصر الشيخ المفيد
- 58- طريق الحق (حوار مع عالم جليل من أهل السنة والجماعة)
- 59- ظاهرة القارونية من أين؟! وإلى أين!؟
- 60- ظلامه أبي طالب ×
- 61- ظلامه أم كلثوم
- 62- عاشوراء بين الصلح الحسني والكييد السفيفاني
- 63- عصمة الملائكة بين فطرس.. وهاروت وماروت
- 64- علي × والخواارج (جزءان)
- 65- الغدير والمعارضون
- 66- فصل الخطاب في الميزان
- 67- القول الصائب في إثبات الربائب
- 68- كربلاء فوق الشبهات
- 69- لست بفوق أن أخطيء من كلام علي ×
- 70- لماذا كتاب مأساة الزهراء ÷!؟
- 71- ماذا عن الجزيرة الخضراء ومثلث برمودا!؟
- 72- مأساة الزهراء ÷ (جزءان)
- 73- مختصر مفيد (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة)، (ثمانية عشر جزءاً).
- 74- مراسم عاشوراء «شبهات وردود»



- 
- 75- المسجد الأقصى أين؟!  
76- مقالات ودراسات  
77- منطلقات البحث العلمي في السيرة النبوية  
78- المواسم والمراسم  
79- موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام  
80- موقف الإمام علي x في الحديبية  
81- ميزان الحق «شبهات وردود» (أربعة أجزاء)  
82- نقش الخواتيم لدى الأئمة<sup>هـ</sup>  
83- وقفات مع ناقد  
84- الولاية التشريعية  
85- ولاية الفقيه في صحيحة عمر بن حنظلة



## قيد الإعداد

- 1- الإعتقاد في مسائل التقليد والإجتهد (الجزء الثاني)
- 2- تفسير سورة الفلق
- 3- تفسير سورة التوحيد (الإخلاص)
- 4- تفسير سورة المسد
- 5- تفسير سورة النصر
- 6- تفسير سورة التكاثر
- 7- تفسير سورة العاديات
- 8- مختصر مفيد (المجموعة 19)